ممدوح الشيخ

التنبؤات والأحلام

من الخرافة إلى العلم






دار التضامن
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب: ٥٤٨٤/١١٣ - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ظل العلم لزمن طويل يتجنب الاقتراب من معظم الظواهر الخارقة الغريبة التي تتكرر في حياتنا ومن حولنا، والعلماء الرواد القلائل الذين حاولوا التصدي لبعض هذه الظواهر صادفوا من الهجوم والسخرية والتسفيه ما أقنع باقي العلماء بعدم محاولة الاقتراب من ذلك التيه الحافل بالمخاطر.

وهكذا تراكمت الخرافات حول هذه الظواهر جيلاً بعد جيل مما جعل مهمة الباحث المحقق أكثر صعوبة، وأصبح عليه أن يعثر على الحقيقة الضائعة كالإبرة وسط أكوام القش[1].

---

(١) راجي عنايت ـ تفسير الأحلام والتنجيم ـ ص ٥.

وللظاهرة التي نحن بصددها في هذه الدراسة سمة خاصة، فالإنسان منذ أقدم العصور يتساءل: ماذا عن الغد؟.

ومحاولة الإجابة عن هذا السؤال اتخذت أشكالاً متباينة على مدى التاريخ الإنساني، وفي جميع الحضارات الكبيرة وبين مختلف المجتمعات البدائية نجد أشكالاً متعددة للبحث عما يجيء به الغد... إنه التحدي الذي استعصى على قدرة الإنسان رغم ما حصله من علم[1].

إن هذه الدراسة هي الثانية بعد دراسة سابقة نشرتها مكتبة ابن سينا بعنوان «أشهر الأحلام في التاريخ» وكلاهما محاولة لرصد أثر الروح والظواهر الروحانية في تحريك التاريخ البشري من خلال الوقائع التاريخية والحقائق العلمية.

إنها في النهاية محاولة نسأل الله التوفيق فيها.

ممدوح الشيخ

---

(١) المرجع السابق ص ٧.

الفصل الأول

سيهزم الجمع ويولون الدبر

الحديث عن التنبؤ حديث مثير ومزعج في آن، وله خطره على عقيدة المتحدث والسامع لأنه يتصل بعلم الغيب الذي اختص الله سبحانه وتعالى به نفسه ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ كما يبدو للوهلة الأولى ـ ومن ناحية أخرى ـ متعارضاً مع روح العصر الذي يعرف بعصر العلم والذي لا يقبل هذه الخرافات ـ إن صح وصفها بأنها خرافات.

ولكي يزول هذا الإشكال نقرأ معاً كلاماً مهماً للمفكر الإسلامي الشيخ محمد مهدي شمس الدين تحت عنوان «المغيبات في الفكر الديني» يقول فيه:

«في ناس هذا العصر من إذا وقعت أبصارهم على هذا العنوان طاف على ثغورهم شبح ابتسامة، ولاح في أعينهم بريق الضوء، واتسمت معالم وجوههم بأمارات الاستنكار، ولم كل هذا؟.

لأننا في هذا العصر الآلي لا نستطيع ـ إذا أردنا أن نحترم أنفسنا وعقولنا ـ أن نؤمن بوجود إنسان يعلم الغيب، إنسان تنقشع أمام عينيه حجب القرون وتنطوي المسافات فيقرأ المستقبل البعيد أو الخاطر

الساعة التي هو فيها.

وطبيعة الثقافة المنحرفة التي يتلقاها إنسان هذا العصر في كل مكان هي التي دفعت بهؤلاء إلى أن يقفوا هذا الموقف ويتجهوا هذا المتجه في إنكار كل دعوى تذهب إلى أن في الإنسان شيئاً آخر وراء غدده وخلاياه.

الثقافة الحديثة هي التي تفرض على الإنسان مثل هذا الموقف فهذه الثقافة تعتبر الإنسان آلة ولا شيء وراء الغدد والأعصاب يمكن أن يعتبر موجهاً للنشاط الإنساني وباعثاً له؟ وقد بلغ التعصب لهذه الفكرة ذروته في القرن التاسع بعد أن تبنت الفلسفة على يد ديكارت وهوبس هذه الفكرة وكذلك تبنتها مدارس علم النفس التي تنكرت جميعاً للروح.

ولأن الروح ليست مُدْرَكَة ولا يمكن أن تقع موضوعاً صالحاً للتجربة فقد أنكر العلم وجودها، ولكن!!

لقد عادت هذه الظاهرة ففرضت نفسها على العلماء من جديد وغدت الظواهر الخارقة ـ كالتنبؤ وغيره ـ موضوعاً للبحث العلمي عند علماء مشهورين أمثال: سير أوليفر لودج ووليم كروكس وألفريد رسل والاس وهم من أعضاء الجمعية العلمية الملكية، ووليم جيمس وهنري سدجويك وهنري برجسون، وتشارلز إليوت نورثون أستاذ بجامعة هارفارد، ووليم ليوبولد أستاذ علم النفس والفلسفة في جامعة بنسلفانيا والفلكي الفرنسي المشهور كاميل فلامريون وتوماس

هكسلي ـ وهذا العدد في تعاظم يوماً بعد يوم.

وكانت أول خطوة في سبيل التثبت من صدف هذه الظاهرة هي تأليف جمعية المباحث النفسية في بريطانيا سنة ١٨٨٢ واشترك فيها عدد كبير من العلماء والفلاسفة وأصدرت مجلة رأس تحريرها البروفسور هنري سدجويك.

وكان لنجاح هذه الجمعية صداه في أنحاء العالم فأسست لها فروعاً في فرنسا وأمريكا وهولندا والدانمارك والنرويج وغيرها، وقد اكتشف الباحثون أن في الإنسان ملكات نفسية خارقة أهمها ثلاث:

١ ـ تناقل الأفكار.

٢ ـ رؤية الأشياء من وراء حاجز.

٣ ـ التنبؤ.

وفي عام ١٩٣٠ أسس البروفسور راين فرعاً في جامعة ديوك في ولاية كارولينا الشمالية لدراسة القوى النفسية في مختبره وذلك على أثر حلم عجيب ذي تفاصيل دقيقة تحقق بحذافيره، وقد أيده وساعده في عمله وليم مكدوجال الباحث النفساني المشهور.

وبسبب الاتجاه القوي في الأوساط العلمية للاعتراف بهذه الظاهرة أدلى البروفسور ثولي أستاذ علم النفس بجامعة كمبردج ببيان جاء فيه:

«إن هذه الظاهرة يجب أن تعتبر حقيقة ثابتة كأية حقيقة أخرى توصل إليها البحث العلمي، فلنترك إذن أمر البرهنة على وجودها في

سبيل إقناع المرتابين ولنتوجه بدلاً من ذلك إلى الاستمرار في دراستها»[1].

حرب الظواهر الخارقة:

لم يتوقف الأمر عند صد بيانات الاعتراف التي أصدرها أساتذة علم النفس وغيرهم بصدد علمية هذه الظواهر بل تعداه إلى دخول هذه الظواهر دائرة التوظيف السياسي والعسكري على المستوى العالمي فقد كشفت الأدلة المتاحة مؤخراً أن الدول العظمى تقوم منذ عدة عقود بدراسات مستفيضة في «العلوم السرية» التي تهتم بالمفاهيم الخارجة عن نطاق الإدراك الحسي العادي وقد أفاق العلماء من معارك الاعتراف أو عدم الاعتراف بعلمية هذه الظواهر على مفاجأة مذهلة حين اكتشفوا أن وزارة الدفاع الأمريكية مهتمة بعلم الظواهر الخارقة، ويعتقد تشالزلي روز عضو لجنة شؤون المخابرات بالكونجرس أن احتمال وقوع «حرب ظواهر خارقة» هو احتمال حقيقي، أما مارسيللو تروتسي الذي يعمل في مركز أبحاث «الشذوذ العلمي» في ولاية ميتشيجان فيعتقد أن وزارة الدفاع الأميركية ستتخلى عن واجباتها إذا لم تهتم بهذه الأبحاث: وقد صدرت دراسة هامة في هذا المجال أعدها العالمان: راسيل تارغ[2]، وكيث هارادي

---

(١) المغيبات في الفكر الديني - محمد مهدي شمس الدين - مقال منشور بمجلة المعارج - المجلد الأول العدد التاسع صفر ١٤١٢ هـ، ص ٦ - ١٣.

(٢) الدكتور تارغ عالم فيزيائي متخصص بأشعة الليزر وعلم البصريات والموجات الكهرومغناطيسية قصيرة المدى وقد قضى عشرة أعوام يقوم بأبحاث مستفيضة في=

وعنوانها «سباق العقل» وهو السباق الذي يتوقع العالمان أن يرث سباق التسلح.

وقد تعلقت التجارب الرئيسية بما أسماه تارغ «الرؤية النائية التي يستطيع الأشخاص الذين وهبوا قدرة ذهنية خارقة بموجبها وصف أماكن بعيدة جداً لم يشاهدوها من قبل فعلى سبيل المثال قام تارغ بتجربة على شخص موهوب موجود في كاليفورنيا إذ ذهب تارغ إلى مكان بعيد تم اختياره قبل التجربة بدقائق دون علم الموهوب وكانت مهمته أن يصف مكان وجود تارغ من تلك المسافة وقد كتب ما يلي:

«أرى تقعراً إسمنتياً يشبه بركة ماء جافة، يتوسطها عمود إسمنتي وأرى سرب حمام على يمين المشهد يطير فوق المنخفض الإسمنتي» وقد صدق فالمكان الذي وصفه كان البركة المركزية في حديقة ساحة واشنطن والبركة فارغة ويتوسطها عمود إسمنتي كما كانت محاطة بالحمام أثناء التجربة».

وقد زار تارغ الاتحاد السوفياتي وتحدث باستفاضة مع أعضاء أكاديمية العلوم السوفياتية وهي أعلى سلطة علمَية في الاتحاد السوفياتي وذكر أنهم مهتمون جداً وعلى أعلى المستويات بموضوع الظواهر الخارقة وأنهم يقومون بتجارب مكثفة للاستفادة منها في

= حقل الظواهر الخارقة لحساب وزارة الدفاع الأميركية وهي التجارب التي تكلفت عشرات الملايين من الدولارات.

المجال العسكري، وأنهم مهتمون بشكل خاص بحقل «الرؤية النائية» والسيطرة والتحكم الذهني في سلوك الإنسان عن طريق استخدام الظواهرة الخارقة.

أما الأمر الخطير والمذهل فقد كشفه العالم «رونالد ماكريه» في كتابه الذي نشر مؤخراً تحت عنوان «حروب العقل» فقد ذكر ماكريه أنه تم استخدام الظواهر الخارقة لتقييم خطة كلفت ٤٠ مليار دولار أطلق عليها [لعبة الصدفة] تتعلق بصواريخ إم إكس النووية وتقضي بتخزين هذه الصواريخ في مرابض سرية تحت الأرض بشكل متنقل وذلك لمنع السوفيات من تحديد مواقعها بدقة وبالتالي تدميرها وقد ذكر العالم ماكريه نقلاً عن مسؤولة كبيرة بالبيت الأبيض تدعى باربارة هونيغد متخصصة في حقل الظواهر الخارقة أن وزارة الدفاع استخدمت مجموعة ممن يتمتعون بقدرات خارقة ليحاولوا معرفة أماكنها فلما أفلحوا في ذلك ألغيت الخطة بأكملها لأن هذا يعني أن السوفيات سيعرفون أماكن الصواريخ بنفس الطريقة خاصة وأنهم أكثر تقدماً من الأمريكيين في هذا المجال.

وذكر العالم ماكريه أن هذه التجربة حلقة من سلسلة تجارب تجريها وكالة المخابرات المركزية والجيش والبحرية وسلاح الجو المارينز ووكالة الفضاء ناسا ومكافحة المخدرات ومخابرات وزارة الدفاع منذ أكثر من ثلاثين عاماً وتنفق وزارة الدفاع الأمريكية سنوياً ٦ ملايين دولار على هذه التجارب سنوياً.

وقد اعترف الجنرال المتقاعد دانييل جراهام رئيس وكالة

المخابرات التابعة للبنتاجون أن أموالاً طائلة أنفقت على هذه الأبحاث وأنها لم تزل مستمرة[1].

إنها بالفعل حرب، ولكنها حرب مثيرة وشرسة تتصارع فيها العقول على كسر الحواجز وحتى لا نقفز على الأحداث نبدأ دراسة هذه الظاهرة في التاريخ أولاً ثم نعرض بعد ذلك لهذه الظاهرة العجيبة في المعامل بعد أن صارت علماً.

خاصةً وأن الظاهرة لم يخل منها تاريخ أمة من الأمم القديمة المعرقة في الحضارة على اختلاف الديانات وتباعد الديار وصعوبة الاتصال وتداول المعارف في عصور البشرية الأولى.

---

(١) حرب الظواهر الخارقة ـ محمد حسن بيرقدار ـ مجلة العربي ـ سبتمبر ١٩٨٨. ص ٣٠ ـ ٣٣.

مناهل العصر

الفصل الثاني

للتنبؤ تاريخ

عرف المناطقة الإنسان «بأنه حيوان ناطق» ولو دققوا لعرّفوه بأنه كائن خائف من المستقبل فقد رحم الله الجماد والحيوان والنبات من عبء المستقبل ورعب المجهول الذي أحاط بالإنسان عشرات القرون وظل حتى هذه اللحظة كابوساً يصعب دفعه ويستحيل تجاهله فبعد أن بهر الإنسان بالقمر وعبده وظنه إلهاً استطاع بالعلم أن يقهره ويصعد إليه وأن يكرر ذلك الصعود كلما شاء وتحطمت أساطير كثيرة كان الإنسان يشعر أمامها بالتضاؤل والعجز وسيطر الإنسان على ظواهر كانت سطوتها على حياته تدفعه إلى عبادة محركها أو من ظن الإنسان أنه محركها.

وبين هذه الظواهر جميعاً تظل ظاهرة اختراق حاجز الزمن بالإبحار في المستقبل أو الغوص في الماضي علامة استفهام تستعصي على الإجابة ربما لعجز الإنسان عن الإمساك بالزمن نفسه أو الوصول إلى كنهه لإجراء التجارب عليه، وكما أطلق الإنسان البدائي على الشخص القادر على الخروج من الزمن كاهناً أو عرّافاً أو متنبئاً أطلق العلماء على نفس الشخص لقب «ذي قدرات خارقة» للإيهام بأنه مجرد شخص خارج عن القاعدة بصرف الذهن عن الدلالات العلمية

لهذا الخروج وعلاقته بنظرة العلم التي يجب ان ينظرها للإنسان.

صفحات من تاريخ الظاهرة:

لا يكاد يخلو التاريخ الثقافي والاجتماعي لأمة من الأمم المُعرقة في القدم إلا وتوجد بهما صفحات يظهر فيها بجلاء وجود هذه الظاهرة وأثرها وخلال السطور القادمة نتخير نماذج تاريخية تجسد هذا الوجود وتحاول تحديد مساحة وجوده.

الصين:

ساد الاعتقاد أيام البشرية الأولى - في الصين وغيرها من بلاد العالم - بأن الظواهر الطبيعية والأوضاع البشرية جميعها تحت سيطرة إلهية وقوة خارقة للطبيعة.

وساد الاعتقاد بأن في وسع الأرواح أن تسبغ على البشرية السعادة وأن تتلقى القرابين وأن تندمج في الكائنات البتسرية وادعوا قدرتها على التجسد.

وبعبارة أوضح ربط قدماء الصينيين بين أفعال الروح وتصرفات البشر برباط وثيق واستحال معه الفصل بين فعل البشر وفعل الروح، وآمن قدماء الصينيين إيماناً راسخاً بوجود تأثير ممكن متبادل بين الأشياء في الكون والشؤون البشرية، الأمر الذي أوجب عليهم الاستعانة بكافة ضروب الكهانة، وادعوا القدرة على التنبؤ بالكوارث المقبلة أو الرخاء الآتي.

وتقسم المراجع الصينية فنون الكهانة إلى ستة أقسام أهمها:

١ ـ التنجيم ويعتبر أهمها.

٢ ـ العرافة ويتصل بأوراق نبات العرافة وصدفة السلحفاة، ويقصد بنبات العرافة [زهرة القنديل] وتمتاز بكثرة أوراقها فكان طالب معرفة حظه يقطع أوراق الزهرة ورقة ورقة وفي الورقة الأخيرة يتمثل الرد على رغبته، وأما بالنسبة للصدفة فكان العرّاف يثقب فيها حفرة، وبتعريضها للحرارة تظهر عدة شروخ يفسرها العرّاف على أنها إجابة عن سؤاله.

٣ ـ الأحلام[١].

اليابان:

كان اليابانيون قديماً يعتقدون أن الاتصال بالآلهة يتم عن طريق إحراق غزال أو سلحفاة وفحص العلامات والخطوط التي تحدثها النار فحصاً تستمد فيه المعونة من الخبراء، ولقلة المعلومات بشكل عام عن التاريخ الياباني وخاصة قديمه فإن المرء يصبح مرغماً على التنقيب عن أية معلومة تاريخية مهما صغرت، ففي المدونات الصينية أنهم كانوا بهذه الطريقة يستوثقون من طيب الحظوظ وخبيثها وعن ملائمة الظروف لقيامهم برحلات برية أو بحرية أو عدم ملائمتها[٢].

العراق:

كانت الشريعة في مملكتي بابل وآشور تقضي ألا يضم إلى

---

(١) حكمة الصين ـ محمد فؤاد شبل ـ دار المعارف ـ ص ٣١ ـ ٣٢.

(٢) قصة الحضارة ـ ويل ديورنت ـ جـ ٥ ترجمة زكي نجيب محمود ص ١٢.

مصاف الكهنة والعرّافين الذين يتكلمون عن الغيب إلا من كانت آلة التصويت عنده حسنة التركيب وقوة سمعه قادرة على الإحاطة بإدراك كل صفات الأصوات وحالاتها.

وقد تعدد هؤلاء المنجمون وحملوا الشعب على عبادة الأفلاك زاعمين أنها تقوم بمعرفة المستقبل ولهذا أكثر الراصدون لها وأكثروا من التآليف بهذا الصدد وإن لم يصل إلينا منها إلا الخبر(١).

اليونان:

رغم أن اليونان كانت مهد الفلسفة وشُهرت بالثقافة العقلانية إلا أن التنبؤ بكل أشكاله كان ظاهرة لها وجودها الثقافي والاجتماعي الواضح ودورها الملموس في دفع عجلة السياسة وأحياناً الحرب، وقد سجل ويل ديورنت هذا الدور في موسوعته التاريخية قصة الحضارة بقوله:

«لقد خيل إلى أهل ذلك الوقت أن حوادث الحياة رهينة بإرادة الشياطين والآلهة، ولم يكن لليونانيين الذين يريدون معرفة هذه الإرادة إلا أن يلجؤوا إلى العرّافين والمتنبئين ليستشيرونهم في أمرهم، وكان هؤلاء ينبئون بالمستقبل بالنظر في النجوم، وتأويل الأحلام، وبحث أحشاء الحيوان، وزجر الطيور.

وكان العرّافون المحترفون يؤجرون أنفسهم للأسر والجيوش

---

(١) أساطير الأولين ـ ميخائيل جبرائيل ـ مطبعة المرسلين اليسوعيين ـ بيروت ١٨٩٤ ص ٤٩.

والدول، ومن ذلك أن نسياس استخدم قبل أن يسير حملته على صقلية طائفة كبيرة من قارئي الغيب.

وكان يظهر في البلاد في أوقات مختلفة رجال ونساء يدعون أنهم ممن يوحى إليهم أو ممن كشف الغطاء عن أبصارهم، وكان في أيونيا نساء يسمين [سيبيلات] Sybyls أي إرادة الله يُذعن نبؤات يصدقها ملايين اليونانيين.

ويقال إن واحدة من أولئك السيبيلات وتدعى [هرفيلا] طافت ببلاد اليونان ثم استقرت في [كومى] بإيطاليا حيث أصبحت أشهر سيبيلات زمانها وعاشت كما تقول الرواية ألف عام، وكان هناك عدد كبير من المتنبئين والمتنبئات وكانت الحكومة تحتفظ في بهو البلدية الأكبر برجال يحذقون تأويل أقوالهم.

وفي كثير من الهياكل المنتشرة في جميع أنحاء اليونان متنبئون ومتنبئات عموميون ولكن أشهرهم وأجلهم قدراً في الأيام القديمة متنبىء [زيوس] في [دودونا] ومتنبىء [أبلو] في [دلفى] وكان اليونان والبرابرة يستشيرون هذا المتنبىء.

وحتى روما نفسها كانت ترسل الرسل ليعرفوا إرادة الإله أو يوحوا له بهذه الإرادة، وكانوا يظنون أن النساء أكثر استعداداً من الرجال لتلقي الوحي، لذلك كانت ثلاث كاهنات لا تقل سن كل منهن عن نصف قرن يدربن علم معرفة إرادة [أبلو] وهن في غيبوبة فالكاهنة التي تتلقى الوحي تجلس على نضد عالي ذي قوائم ثلاث

موضوع فوق فتحة في الأرض تحت الهيكل يخرج منها غاز كريه الرائحة فتستنشق الرائحة الكريهة المقدسة وتمضغ أوراقاً من تاج أوراق الشجر المخدّر فتغيب عن وعيها ويتقلص جسمها ثم ينزل عليها الوحي وهي في هذا الوضع فتنطق بألفاظ متقطعة، يترجمها الكهنة للشعب، وكثيراً ما كان الجواب النهائي يحتمل تأويلات مختلفة بل متناقضة وبذلك تكون المتنبئة صادقة على الدوام[١].

ويصف أرسطو عملية إعداد الكهنة بقوله: إن الداخلين في الهياكل لم يكونوا ليتعلموا الأسرار ولكن ليوقفوا على رسوم وروايات على مسرح واسع تمثل صور أشباح في ليل مدلهم بين الرعد والبرق، ولتلقي الرعب في قلوب الناظرين إليها وتجعلهم يتذكرون قصاص المذنبين في الآخرة فيرتدعون عن غوايات الدنيا، وكان هاتف الغيب يذكرهم بالعناية الإلهية ويكشف لهم مستقبلات الغيب وكان ذلك مشهوراً في أماكن عديدة[٢].

ففي معبد دلفي كان الكهنة يجلسون امرأة على تل في جبل البرناس يتصاعد منه بخار مهلك فيراها الناظر تارةً حمراء وتارةً صفراء تصرخ وتتنهد وكل أعضائها ترتج، ويمنعها الكهنة من القيام حتى تنطق ببعض الكلمات فيوردها الكهنة لطالب النبوءة حسب ما

---

(١) قصة الحضارة ـ ويل ديورنت ـ ط ١ مجلد ٢ ـ ترجمة محمد فؤاد بدران ـ لجنة التأليف والترجمة ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

(٢) أساطير الأولين ـ ص ٢٤٨.

يعن لهم وما يرونه موافقاً لمقتضى الحال[1].

على أن هذا الغموض الذي تتسم به عبارات المتنبئين والذي لفت نظر المؤرخين قديماً وحديثاً كان شكلاً مكشوفاً من أشكال التمويه لا يخدع الكثيرين كما لم يكن سمة كل المتنبئين، فيروي هيرودوت في تاريخه أن أحد ملوك الإغريق ويدعى كريسيوس كان مقدماً على حرب فارس، ولما كان من عادة الملوك في هذا العصر استشارة الكهان والمتنبئين في كل أمر هام فقد قرر أن يختبر المتنبئين قبل استشارتهم ليعرف أقدرهم على معرفة المستقبل فأرسل إلى كل هيكل من هياكل التنبؤ الموجودة في عصره رسولاً وطلب من رسله أن يطلبوا من المنجمين تحديد ما كان يفعله الملك على وجه الدقة في اليوم المائة لمغادرتهم مدينته حتى لا يكون أمام الرسل فرصة ـ إن أرادوا ـ لتلفيق إجابة أو لإفشاء سر الملك.

وأرسل كريسيوس سؤاله إلى معابد دلفي وأيلون في ميليسيا وجوبيتير في ليبيا وغيرها من الهياكل وطلب أن تكون النبوءات مكتوبة لا أن تنقل شفاهاً، وفي اليوم المحدد أتى بسلحفاة وخروف فقطعهما إرباً وطبخهما في قدر من نحاس مغطى بغطاء من نحاس.

وعندما عاد رسله بالأجوبة وجدها جميعاً تحوي عبارات غامضة تحتمل وجوهاً عديدة عدا نبوءة كاهنة دلفي التي كتبت:

«أنا أعرف عدد الرمل وحدود البحر وأفهم لغة الخرس وصوت

(١) السابق ص ٢٤٨.

البكم، وقت شممت رائحة سلحفاة تشوى مع لحم خروف في إناء من نحاس مغطى بغطاء من نحاس»[1].

وقد اعتبر اليونان الأحلام شكلاً من أشكال التنبؤ، وخلطت في معابد خاصة بوسائل أخرى للتنبؤ وما قد تعطيه من وحي يغير الطريق أمام الإنسان، وكان المرضى والمعوقون يتجمعون في أماكن مقدسة خاصة ليناموا ويحلموا تحت إشراف الكهنة بعد عمل صلوات خاصة وتقديم قرابين ثم ينامون في انتظار حلم تزورهم الآلهة فيه فتمنحهم الشفاء. ويذكر هيرودوت أن اليونان وبلاد الإغريق كانت تحتوي في وقت من الأوقات على حوالي ٦٠٠ معبد مخصص للأحلام وتلمّس الشفاء عن طريقها[2].

إيطاليا:

كان الرومان يعتقدون أن الأيام الفردية الأسماء محظوظة والزوجية الأسماء منحوسة، وأن الحوادث الغريبة تنبىء عن المستقبل، ويحتوي تاريخ ليڤي على عدة مئات من أمثال هذه الأنباء يسجلها كلها بوقار فلسفي، وفي مجلدات بلني الأكبر من التنبوءات ووسائل العلاج السحري ما يصح لنا معه أن نسمي تاريخه [تاريخ خوارق الطبيعة] وكثيراً ما كان يحدث أن تؤجل أهم الأعمال التجارية

(١) تاريخ هيرودوت ـ ترجمة حبيب بسترس عن الفرنسية ـ نشر مطبعة القديس جاورجيوس ـ بيروت ١٨٨٦ ص ٣٢ ـ ٣٣ ـ جـ ١.
(٢) العلم وتفسير الأحلام ـ د/ عبد الرحمن نور الدين ـ ص ١٢.

أو الحكومية أو الحربية أو تلغى إلغاءً تاماً إذا تشاءم الكاهن بأن وجد شيئاً غير مألوف في أمعاء ذبيحة، أو سمع رعداً وقصفاً في السماء[1].

وقد استخدمت إيطاليا نظاماً كهنوتياً محكم الوضع لتضمن به معونة الأرباب، وكانت الصلوات العامة يرأسها جماعة من الكهنة يرأسهم حبر أعظم تختاره الجمعية المئوية، وكانت الكلية الدينية الكبرى في القرن الثالث قبل الميلاد تضم تسعة من الأعضاء وكانوا يحتفظون بالحوليات التاريخية ويسجلون القوانين ويقرؤون الغيب، وكانت أعظم طوائف الكهنة نفوذاً طائفة العرافين التسعة الذين كانوا يدرسون إرادة الآلهة ومقصدهم باتجاه الطيور، وبالفحص عن أحشاء الحيوانات المضحاة.

وكان كبار الحكام [يستطلعون الطالع] قبل كل عمل هام من أعمال السياسة أو الحكم أو الحرب ثم يفسر العرافون ما يجده الحكام أو يفسره لهم مفتشو الأكباد الذين تلقوا فنهم هذا من أمم الكلدان أو من أمم قبلهم، ولم يكن الكهنة على الدوام بمنجاة من الإغراء بالمال ولذلك كانوا يوفقون بين أقوالهم وبين حاجات من يذهب لاستشارتهم[2].

من ذلك إن أي قانون لا يتفق مع مصلحة طائفة أو جماعة من

---

(١) قصة الحضارة - ويل ديورنت - جـ ١ - مجلد ٣ - ترجمة محمد بدران - ص ١٢٦.

(٢) المرجع السابق - جـ ١ - مجلد ٣ - ص ١٣٠ - ١٣٢.

الناس كان يمكن تعطيله إذا قيل إن اليوم الذي ينظر فيه القانون يوم مشؤوم لا يصلح العمل فيه، وكان في الاستطاعة إقناع الجمعية بالموافقة على إعلان الحرب إذا قيل لها إن اليوم الذي يطلب إليها إعلانها فيه هو يوم سعيد.

وكانت الحكومات في الأزمات الخطيرة تدعي أنها تعرف ما تريده الآلهة بالرجوع إلى الكتب «السيبيلية»Sybyline وهي الكتب التي سجلت فيها نبوءات كاهنة [أبلون] في كوميه وكان في وسع الأعيان أن يؤثروا في الشعب بهذه الوسائل وبالرسل الذين كانوا يرسلونهم إلى هاتفي دلفي في بعض الأحيان مما يتيح لهم توجيه الشعب كما يريدون[1].

ولم تكن العلاقة بين المتنبئين والحكام في إيطاليا ـ خاصة مع مجلس الشيوخ ـ تسير على وتيرة واحدة وإنما كانت تتأرجح حسناً وسوءاً وقوة وضعفاً، فمثلاً يروي شيشرون أن مجلس الشيوخ الروماني قرر إيفاد ستة ـ وقيل عشرة ـ من أبناء البارزين من الرومان إلى كل قبيلة من قبائل اتروريا لدراسة أساليب التكهن مخافةً أن تضمحل وتتحول إلى أداة للاتجار والارتزاق[2].

بينما يروي بوشيه لو كليرك أن مجلس الشيوخ الروماني نفسه كان كثيراً ما يضيق بكثرة الشرقيين من الكهان في روما وإيطاليا كلها

(١) قصة الحاضرة ـ جـ ١ ـ مجلد ٣ ـ ص ١٣٠ ـ ١٣٢ .
(٢) التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام ـ د . توفيق الطويل ـ ص ١٦٦ .

وقد تقرر في عام ١٣٩ قبل الميلاد طرد الكلدانيين من روما في ظرف عشرة أيام[١].

وقد أرجع بعض الباحثين ومنهم بوشيه لو كليرك ـ انتشار فنون التكهن خاصة علم التنجيم في دول البحر الأبيض المتوسط إلى الكاهن الكلداني بيروس، ولكن الثابت أن الرومان عرفوا معرفة المستقبل كسّر من أسرار ديانتهم، وكانوا يعتنون بعلم الفلك ويعتقدون بطيران الطيور والولائم المقدسة ولها علم مخصوص يعرف به ما يكون خيراً وشراً.

وقد اعتقد الرومان في الوحي على النحو التالي:

من يريد معرفة المستقبل فيلزمه أن يبدأ بالاغتسال والصوم ويسأل بغيته فيجاب عليها إبان رقوده على جلود الضحايا المقدمة منه.[٢]

مصر:

توجد بين آثار الفراعنة أدلة قاطعة على معرفتهم الواسعة بأشكال التنبؤ المختلفة، فهناك بردية محفوظة في متحف لينينغراد اكتشفها الأستاذ جولنشيف وتسجل نبوءة كاهن يسمى [نفرروهو] ويرجع تاريخها إلى عهد الملك سنفرو[٣]، ولوحة من الجرانيت

---

(١) التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام ـ ص ١٦٧.
(٢) أساطير الأولين ـ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦.
(٣) مصر القديمة/ سليم حسن/ جـ ٣.

محفوظة بالمتحف المصري مقاسها ١٣٢ × ٧٥ سم وترجع إلى آخر العصر الكوشي وتسمى لوحة الحلم[١]. وبردية تسمى بردية [شستربيتي] نسبة إلى مكتشفها وقد كتبت في عهد الأسرة الثانية عشرة من ١٩٩٠ ـ ١٧٨٦ قبل الميلاد وبها تفسيرات للأحلام وتعتبر أول محاولة لتفسير الأحلام في التاريخ[٢]. وكذلك لوحة بين أقدام أبي الهول تسجل حلماً رآه الملك تحتمس وهو ما يزال أميراً[٣].

وقد كان الفراعنة ينصبون الكهنة لينهضوا بخدمات بيت الإله والعناية بالحيوانات المقدسة وإقامة الأعياد والمواكب، هذا إلى أنهم كانوا يعرفون فن تخمين ما يريده الإله وينتزعون منه بوساطة الوحي نبوءات عن المستقبل وأحكاماً فاصلة في قضايا وحقائق تتعلق بالمخاصمات[٤].

وتحدث هيرودوت عن وجود فن التنجيم في مصر القديمة في تاريخه قائلاً: «ومن جملة الأشياء التي ابتدعها المصريون أنهم كانوا يخبرون الإنسان بما يجري عليه في حياته بمجرد معرفة مولده»[٥]، وكان في عين شمس كاهن خاص لمراقبة سير الشمس ويسمى [الرائي

---

(١) مصر القديمة/ سليم حسن/ جـ ١١ ـ ص ٢٧٠.
(٢) العلم وتفسير الأحلام ـ ص ١٠.
(٣) السابق ص ٢٠.
(٤) مصر القديمة سليم حسن جـ ١ ـ ص ٢٣٦ ـ دار الكتب المصرية.
(٥) تاريخ هيرودوت جـ ١ ص ١٤٥.

الأعظم] وفي المعابد جماعات من الكهنة لمراقبة سير النجوم[1].

وقد لاحظ الفلكيون المصريون القدماء طيلة مئات السنين التي سجلوا فيها الأحداث الفلكية أن كسوف الشمس وخسوف القمر يتبعان دورة تستغرق ١٨ سنة و ١١ يوماً تقريباً لكي تكتمل، وقد احتفظ الكهنة المصريون بأسرار هذه الدورة التي تسمى [الساروس] مع سائر المعارف الفلكية العملية الأخرى.

ومنحتهم هذه المعرفة بالأسرار قوى مدهشة ظاهرياً على التنبؤ، بل على التحكم الظاهري في السموات إذ كان بوسعهم أن يتنبؤوا بأن الإله الشمس سوف يحتجب نتيجة للمعاصي التي يرتكبها الشعب، فإذا ما حدث الكسوف أمكن للكهنة أن يبشروا باستعادة الشمس وفق شروطهم الخاصة[2].

ومثل هذا السلوك يشبه ما يحدث في القصص الخيالية حيث يستغل أهل المعرفة حالات الكسوف لإرباك الشعوب البدائية، ومن المؤكد أن مبادىء الصفوة من الكهنة الذين يحيطون علماً بالأسرار الفلكية قد ساعدت على ترسيخ الاعتقاد في علم التنجيم[3].

وقد بلغ علم المصريين بفنون التنبؤ حداً من الرسوخ جعل الأمم المجاورة في حوض المتوسط تتأثر بهم وتنقل عنهم فمثلاً

---

(١) موسوعة تاريخ مصر ـ أحمد أمين ـ دار الشعب ـ ص ١٦٤.
(٢) فكرة الزمان عبر التاريخ ـ ص ٨٢ ـ ٨٣.
(٣) فكرة الزمان عبر التاريخ ص ١٨٣.

يروي هيرودوت أن الفينيقيين اختطفوا امرأتين من مصر تعملان بالكهانة حملت إحداهما إلى ليبيا والأخرى إلى بلاد الإغريق ومنهما عرف الإغريق الكهانة، ثم يقول: «وفن العرافة أي الإخبار بالمستقبل كما هو جارٍ في الهياكل أتى إلينا من مصر»[١].

ويصرح الأستاذ «بوشيه لو كليرك» بأن اليونان استعاروا الكثير من معلوماتهم في موضوع الأحلام عن مصر وغيرها من بلاد المشرق القديم، وإذا كان الثابت أن المسلمين قد استعاروا بعض وجهات نظرهم في تأويل الأحلام من كتاب أرطميدوس فإن أ. هـ. سايس يصرح بأن أرطميدوس استقى مادة كتابه عن البابليين[٢].

وهكذا تداول الأقدمون ـ خاصة في حوض البحر المتوسط ـ المعارف حول التنبؤ بكل فنونه في دورات متعاقبة من بابل إلى اليونان ومصر، ومن مصر إلى بلاد اليونان ومن بلاد اليونان إلى العالم العربي لتصبح خلاصة هذا الفن خليطاً من ثقافات متعددة عبر الزمان والمكان.

التنبؤ عند العرب:

يؤرخ الأستاذ/ جورجي زيدان لوجود هذه الظاهرة في الواقع العربي تحت عنوان: «العرافة والكهانة» فيقول:

كان العرب يعتقدون في الكاهن القدرة على كل شيء، فكانوا

---

(١) تاريخ هيرودوت ـ جـ ١ ـ ص ١٣٤ ـ ١٣٥.
(٢) التنبؤ بالغيب ـ ص ١٦٧.

يستشيرونه في حوائجهم ويتقاضون إليه في خصوماتهم ويستطبونه في أمراضهم ويستفتونه فيما أشكل عليهم ويستفسرون منه رؤاهم ويستنبئونه عن مستقبلهم.

وبالجملة فالكهّان عندهم هم أهل المعرفة والفلسفة والطب والقضاء والدين شأن تلك الطبقة من البشر عند سائر الأمم القديمة في بابل وفينيقية ومصر وغيرها.

والكهانة من العلوم الدخيلة على العرب جاءتهم من بعض الأمم المجاورة لهم والغالب في اعتقادنا أن الكلدان حملوها إليهم مع علم النجوم، ويؤيد ذلك أن الكاهن يُسمى في العربية «حازى» أو «حزاء» وهو لفظ كلداني معناه الاشتقاقي الناظر أو الرائي أو البصير، وهو يدل عندهم على الحكيم والنبي.

أما لفظ «الكاهن» فقد اقتبسه العرب بعدئذ من اليهود الذين نزحوا إليهم على إثر ما أصابهم من النكبات في أورشليم [بيت المقدس] وخصوصاً بعد خرابها على يد الامبراطور طيطس سنة ٧٠ م.

وكان العرب يعتقدون في الكهنة العلم بكل شيء وأن ذلك يأتيهم بواسطة الأرواح، فمن كان منهم يعتقد التوحيد نسب ذلك إلى استطلاع الغيب عن أفواه الملائكة، وإذا كان من عبدة الأصنام اعتقد حلول الأرواح في الأصنام وبوحها بأسرار الطبيعة للكهان والسدنة فيقول العرب إن الأصنام تدخلها الجن [أي الأرواح] وتخاطب

الكهان، وأن الكاهن يأتيه الجني بخبر السماء وربما عبروا عنه بالهاتف ومن أقوالهم «الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى والكهان من العرب».

فكل ما يصنعه الكاهن إنما مصدره الغيب، فإذا استطبه مريض عالجه بالرقى، وإذا استشير في معضلة خطّ الرمل أو نفث في العقد[١] وإذا حكّمه متخاصمان رمى لهما بالقداح، وإذا استطلع عن سرقة أخذ قمقمة بين يديه ونفث فيها، ونحو ذلك[٢].

وجاء الإسلام:

كان موقف الإسلام من الكهانة وأشباهها موقفاً حاداً وواضحاً بدا في أحاديث صحيحة رواها أئمة الحديث منها:

قوله صلى الله عليه وآله وسلم «ليس منا من تطير أو تطير له سحر أو سحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم»[٣].

وقد فصّل ابن حجر موقف الإسلام من هذه الظاهرة فقال:

الكهانة [بفتح الكاف ويجوز كسرها] ادعاء علم الغيب

---

(١) النفث هو النفخ دون خروج ريق، أما العقد فأصله أن الساحر يأخذ خيطاً ويعقد عليه عقدة بعد عقدة وينفث فيها.

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي - جورجي زيدان - جـ ٣ - ص ١٩ - ٢٠ بتصرف يسير - نشر دار الهلال.

(٣) الترغيب والترهيب جـ ٤ - ص ٥٢ - رواه المنذري وقال إسناده جيد.

كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن، والكاهن لفظ يطلق على العراف والذي يضرب بالحصى والمنجّم.

وفي «المحكم» الكاهن القاضي بالغيب، وقال الخطابي الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية فألِفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه وكانت الكهانة فاشية خصوصاً في العرب لانقطاع النبوة فيهم.

وقد كانت مواجهة الإسلام لظاهرة التنبؤ متناسبة مع وجودها السرطاني في الجزيرة العربية فقد اشتهر في بلاد العرب جماعة كبيرة من الكهان والكواهن أقدمهم «شق وسطيح» وحكايتهما أشبه بالخرافات منها بالحقائق، فعندهم أن الأول كان شق إنسان [أي نصف إنسان] بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وأن سطيح كان لحماً يطوى كما يطوى الثوب، لا عظم فيه غير الجمجمة ووجهه في صدره(١).

ويزعمون أن هذين الكاهنين عاشا بضعة قرون إلى غير ذلك من الأوهام، ومن الكهان الذين نبغوا في النهضة العربية قبل الإسلام ضافر بن التوأم الحميري، وسواد بن قارب الدوسي وفيهم من

---

(١) أوردت قصة حياة هذين المتنبئين في كتاب [أشهر الأحلام في التاريخ] بالتفصيل في فصل بعنوان [أشهر المفسرين في التاريخ] نشر مكتبة ابن سينا.

يعرفون بما ينسبون إليه من القبائل كقولهم كاهن قريش، وكاهن اليمن، وغيرهما.

ومن الكواهن النساء طريفة الخبر كاهنة اليمن وهي أقدمهم وإليها ينسبون الإنذار بخراب سد مأرب وإتيان سيل العرم، وزبداء بين الشحر وحضرموت، وسلمى الهمدانية الحميرية وعفيراء الحميرية وفاطمة الخثعمية وزرقاء اليمامة وغيرهن ممن ينسبن إلى البلاد والقبائل[1].

وكان الإسلام حاسماً في تقويض نفوذ هذا الأخطبوط الذي كانت له عشرات الأذرع في كل أنحاء الجزيرة العربية وبدا حسمه واضحاً في إزالة الغموض الذي أحاط بعملية التنبؤ وتقديم تفسير لأتباعه يدركون به حقيقة هذه القدرة وربما لهذا السبب بالذات تبدو هذه الظاهرة حقلاً من الألغام لا يسهل السير فيه. ورغم ذلك فإن الفضول البشري لم يجعل أمة من الأمم لا تعرف هذه الظاهرة خاصة في ماهيتها.

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ـ جـ ٣ ـ ص ٢١ مرجع سابق.

الفصل الثالث

في ظل الإسلام

اصطفى الله سبحانه وتعالى من البشر أشخاصاً فضلهم بخطابه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويحرضونهم على هدايتهم ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يلقيه إليهم من المعارف ويظهره على ألسنتهم من الخوارق والأخبار والكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها إلا بتعليم الله إياها لهم.

وقد كان من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم إخباره عن مغيبات ماضية وقادمة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتكون بشارة للمؤمنين وتثبيتاً أو إنذاراً للكافرين وتحدياً لكل شاك أو مشكك في مصدر الوحي.

ومن هذا القبيل قوله تعالى: **﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾**[1].

---

(١) مفتتح سورة الروم.

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلاً يدعى قطمة بجيش من الروم وبعث كسرى بشمريزار فغلبتهم فارس حتى اضطر هرقل إلى اللجوء للقسطنطينية وحوصر فيها، ففرحت بذلك كفّار قريش وكرهه المسلمون.

ولقي المشركون أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله تعالى: ﴿**ألم غلبت الروم**﴾.

وفي سورة الفتح يقول تعالى: ﴿**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لندخلهم المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً**﴾.

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم على أن يعودوا من قابل، وقع في نفس بعض الصحابة من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟ قال: لا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: فإنك آتيه ومطوف به[1].

وهكذا يربط القرآن بين عالم الغيب والشهادة لينتقل بالإنسان إلى ارتقاء حواجز الزمان والمكان فيعقد بينها وبين الإنسان الطامح وجهاً من وجوه الصلة المفتوحة بين الماضي والحاضر والمستقبل في صورة يتكامل في أحداثها وشخوصها المبدأ والمنتهى على عقيدة التوحيد، فقد أحاط به النص القرآني من جميع أطرافه فجعله علامة على إعجازه حيث لم يدَّع أحد قبله ولن يدَّعي أحد بعده قدرته على اختراق حواجز الغيب.

ويكفي أن تقرأ في القرآن: «وما كنت... وما كنت لتعرف كم أخبر الله رسوله بأنباء من غيب الماضي» ﴿**وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم**﴾ إلى أن يكشف أدق أسرار الرسالات السماوية ويصحح للناس ما أخطؤوا فيه.

ويكفي أن تقرأ في القرآن تحديه للمشركين بفضح ما يدور في خلدهم وإعلان ما يضمرون ويمكرون فيهددهم مرة بعد أخرى بإظهار ما يعتمل في نفوسهم من سوء النوايا والتناجي بالإثم والعدوان ﴿**ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاؤوك حيوّك بما يحيك به الله**

(١) تفسير ابن كثير ـ جـ ٤ ـ ص ٣٠١.

ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ فبهت الذين كفروا لأن الله أخرج ما في صدروهم وعرّاهم أمام الناس جميعاً.

ثم بعد ذلك يكفي أن تقرأ في القرآن حديثه عن المستقبل القريب منه والبعيد لتدرك عن يقين من الإيمان الراسخ أن هذا الحديث لا يصدر إلا عن القادر علام الغيوب[١].

الرؤيا والرؤية:

يسجل القرآن الكريم شكلاً فريداً من أشكال الإعجاز كان منحة من الله للمسلمين تثبتهم وتشد أزرهم في مواجهة الكفار، ففي سورة الأنفال وفي موضع من مواضع الحديث عن غزوة بدر يقول تعالى: **﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾**[٢].

ويقول ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين:

أراهم الله إياه في منامه قليلاً وأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بذلك فكان تثبيتاً لهم، وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه رآهم بعينه وقوله **﴿لو أراكهم كثيراً لفشلتم﴾** أي لجبنتم، وهذا من لطف الله تعالى بهم إذ أراهم إياهم قليلاً في رأي العين فيجرئهم

---

(١) المعارج - عدد سبتمبر ١٩٩١ ص ٤ - ٥.
(٢) سورة الأنفال آية ٤٣ - ٤٤.

عليهم ويطمعهم فيهم، وعن ابن مسعود أنه قال: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟.

قال: لا بل مائة.

حتى أخذنا رجلاً منهم [وفي رواية رجلين] فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

كم القوم؟

قالا: كثير.

قال: ما عدتهم؟

قالا: لا ندري.

قال: كم ينحرون كل يوم؟

قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: القوم ما بين التسعمائة والألف.

ويكمل ابن كثير تفسيره للآيتين فيقول:

حض بعضهم على بعض ليلقي بينهم الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والإنعام على من أراد تمام النعمة عليه، ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلاً من الفريقين بالآخرة فلما التحم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين وبقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعفيهم[1] كما قال تعالى: ﴿**قد كان لكم آية في فئتين التقتا**

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣١٤ ـ ٣١٥ ـ دار إحياء الكتب العربية.

فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين﴾[1].

مع سيرة الرسول:

فإذا قرأنا سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما دونها ابن هشام صادفنا غير مرة عنوان جانبي على شاكلة «الرسول يتنبأ بموت كسرى»، «الرسول يتنبأ بما حدث مع الروم» وهكذا من أمارات نبوته إمداد الله له بما يشاء أن يعلمه من غيب الماضي والمستقبل والزمان والمكان، ومن هذه المواقف:

ـ عن الزهري أنه قال: كتب كسرى إلى باذان آخر ملوك الفرس في اليمن: أنه بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر إليه فاستتبه، فإن تاب وإلا فابعث إليَّ برأسه فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكتب إليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا[2].

فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر وقال: إن كان نبياً فسيكون ما قال، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[3].

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣.

(٢) كان مقتل كسرى ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة تسع من الهجرة وأسلم باذان سنة عشر للهجرة.

(٣) ابن هشام ـ طبعة التوفيقية جـ ١ ـ ص ٧٠ ـ ٧١.

- وقبل غزوة أحد قال صلى الله عليه وآله وسلم حين علم بخروج قريش ونزولها حيث نزلت: إني قد رأيت والله خيراً، رأيت بقراً لي تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة، وفي رواية أخرى أنه أول البقر الذي رآه يذبح قتل ناس من أصحابه وأول الثلم الذي رآه في ذباب سيف رجلاً من أهل بيته يقتل[1].

- في غزوة بني المصطلق وعند عودة الجيش سلك رسول الله بالناس الحجاز فمروا على ماء بالنقيع يقال له: بقعاء، فهبت عليهم ريح شديدة آذتهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تخافوها فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد في التابوت أحد بني قينقاع وكان عظيماً من عظماء اليهود مات في ذلك اليوم[2].

- كانت غزوة مؤتة واحدة من أشد الغزوات عنفاً وأحفلها ببطولات الصحابة فقد حمل الراية فيها زيد بن حارثة فاستشهد، فحملها جعفر فاستشهد، فحملها عبد الله بن رواحة ولكنه تردد قليلاً، ثم اقتحم الصفوف واستشهد، ويروي ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أصيب القوم في هذه الغزوة قال: أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها

---

(١) ابن هشام - ص ٥ جـ ٣.
(٢) السابق جـ ٣ - ص ١٩٤ - ١٩٥.

حتى قتل شهيداً، ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه كان في عبد الله بن رواحة ما يكرهون، ثم قال: ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً.

ثم قال: لقد رفعوا إليَّ في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً من سريري صاحبيه فقلت عمّ هذا؟ فقيل لي: مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى.

من التاريخ الإسلامي:

كلنا يعرف قصة غزوة بدر بلا شك غير أن جانباً من جوانبها لم يشتهر رغم ما في أحداثه من طرافة وما يوحي به من دلالات، فيروي ابن هشام في سيرته أن عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم بن عمرو الغفاري [وهو الرجل الذي استأجره أبو سفيان ليخبر قريشاً باعتراض الرسول لقافلتهم] رأت قبل قدومه بثلاث ليال رؤيا أفزعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له:

يا أخي والله لقد رأيت رؤيا أفظعتني وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عني ما أحدثك به.

فقال لها: وما رأيت؟

قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا لغدر مصارعكم في ثلاث، فأوى الناس فاجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم

حوله مثل به[1] بعيره على ظهر الكعبة، صرخ بمثلها: ألا انفروا يا لغدر مصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس[2] فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت[3] فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة.

قال العباس: والله إنها لرؤيا، وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد.

ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان له صديقاً فذكرها له واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش في أنديتها.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل علينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم: فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية؟

قال: قلت: وما ذاك؟

قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة.

---

(١) مثل به أي قام به.

(٢) جبل بمكة.

(٣) ارفضت أي تفتتت.

قال: قلت وما رأت؟

قال: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى يتنبأ نساؤكم؟ قد زعمت عاتكة أنه قال: انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، إن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب[1].

ثم يكمل العباس بقية القصة فيقول:

غدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة فدخلت المسجد فرأيته، فإذا به خرج من باب المسجد يشتد، فقلت لعنه الله، أكل هذا خوفاً من أن أشاتمه، وإذا هو قد سمع ما لم أسمع: صوت ضمضم الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره: الغوث.. الغوث، فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر[2].

وخرجت قريش لحرب المسلمين وفيهم بني عبد المطلب وفي الطريق نزلوا الجحفة فرأى جهيم ابن الصلت وهو من بني عبد المطلب رؤيا يرويها ابن هشام في سيرته يقول:

قال: إنني رأيت فيما يرى النائم وإني لبين النائم واليقظان إذا نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن

---

(١) ابن هشام ٢/ ١٨١ ـ ١٨٢.

(٢) السابق ص ١٨٢ جـ ٢.

خلف وفلان وفلان، فعدد رجالاً ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش، ثم رأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه.

قال: فبلغت أبا جهل، فقال: وهذا أيضاً نبي آخر من بني عبد المطلب، سيعلم غداً من المقتول منا إن نحن التقينا[1].

والتقى الجمعان وصدقت النبوءتان.

كاهنة تنقذ قبيلة:

عندما خرج جيش المسلمين في غزوة مؤتة كان في طريقها إلى ثغور الروم قبيلة تسمى لخم ومن بين بطون هذه القبيلة كان هناك بطن يسمى حدس وفيه كاهنة أنذرت قومها من جيش قادم فقالت لهم: أنذركم قوماً خزرا، ينظرون شزرا[2] ويقودون الخيل تترى ويهريقون الدم عكرا. فأخذوا بقولها واعتزلوا من بين لخم فلم تزل بعد أثرى [أغنى] بطون القبيلة، وكان الذين صلوا الحرب يومئذ البطون التي بقيت في موضعها فلم يزالوا قليلاً بعد.

فلما انصرفت الجيوش عادت حدس إلى مضاربها[3].

---

(١) السابق ص ١٩١ جـ ٢.

(٢) الخزر: من يضيقون عيونهم وينظرون الشزر: نظرة العداء.

(٣) ابن هشام ٣/ ٢٦٥، ٢٦٦.

من أجل
الصدر

الفصل الرابع

للتنبؤ أشكال (الكهانة والعرافة)

التفرقة بين مدلول الكهانة والعرافة شاق جداً ربما بسبب اقتراب كل منهما من الآخر بدرجة شديدة جعلت بعض المتخصصين لا يفرقون بينهما فبينما يرى البعض قصر إحداهما على الماضي دون المستقبل وتخصيص الأخرى للآخر يرى البعض الآخر العكس.

ويقرر جورجي زيدان هذه الحقيقة بقوله: هما لفظان لمعنى واحد فرق بعضهم بينهما فقال إن الكهانة مختصة بالأمور المستقبلية والعرافة بالأمور الماضية، وعلى كل حال فالمراد بهما التنبؤ واستطلاع الغيب[1].

ويفصل الأستاذ الدكتور توفيق الطويل رحمه الله الأمر فيقول:

تطلق الكهانة على كثير من ضروب التنبؤ بالغيب لأنها تشمل الناظرين في الأجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها، وأهل الطرق بالحصى والحبوب من الحنطة والنوى وأهل الزجر والفأل، والمنبئين عن الغيب باستنباء

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي جـ ٣ ـ ص ٢١ ـ مرجع سابق.

الطيور والسباع وأهل الرياضة السحرية وأصحاب الفراسة ونحوهم.

ولكن جمهرة مؤرخيها يجدونها بأنها اتفاق الأرواح البشرية مع الأرواح المجردة من جن وشياطين واتخاذهم أداة لمعرفة ما يتصل بالمستقبل من الأحوال الجزئية الحادثة في عالم الكون والفساد[1].

وبعض المؤرخين لا يقصرها على معرفة المستقبل وحده ويرى أنها تكشف عن مجاهل الغيب ما اتصل منه بالماضي والحاضر والمستقبل، ولكن اشتمال الكهانة على ما سبق يبرر الظن بأنها تتضمن الكشف عن الماضي والحاضر والمستقبل فالعرافة نفسها تعتبر عند بعض المؤرخين من فروع الكهانة.

وكما أن أهل الفن ليسوا على اتفاق في هذا الصدد فكذلك الحال في أهل اللغة:

- ففي اللسان: الكاهن من يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان.
- وفي التاج: تكهن أي قضى بالغيب ولم يحدد لذلك زماناً ولكنه يعود في تفرقة الكهانة من العرافة فيقول: إن العرّاف من يخبر بالأحوال المستقبلة والكاهن من يخبر بالأحوال الماضية.
- وقيل إن الكاهن لا يستعين في صناعته بآلة ولا بإظهار حساب ولا بنظر في كتاب بل بجودة الحفظ وذكاء النفس وصحة العقل وحسن

---

(١) التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام - د/ توفيق الطويل - دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٥ ص ٩٣ - ١٠١.

التمييز وحدّة الخاطر مع مساعدة ما اتفق له في مولده الذي أوجب له ذلك وهي قوة إلهية تتوافر في الناس بسهام سماوية وأسباب فلكية وأقسام علوية يرثها بعض الناس فرداً عن فرد.[1]

ولكن بعض المؤرخين قد قسمها إلى قسمين خص أحدهما بالتوارث وجعل الكهانة منه وهذا النوع يزعم صاحبه أن له رئياً من الجن يلقي إليه الأخبار، أما القسم الثاني فهو ما كان بالعزائم ودعوة الكواكب.

وقد رد اليونان والرومان الكهانة إلى ثلاثة مصادر:

١ ـ استراق السمع.

٢ ـ الوحي الفلكي ذلك أن للكواكب أثراً علىٰ طبائع الناس.

٣ ـ قوة النفس وقهرها للطبيعة[2].

ولابن خلدون العلامة العظيم محاولة لتفسير الكهانة تتسم بالربط بين النصوص الدينية والحقائق العلمية في مجال علم النفس ـ مع مراعاة فارق الزمن بالطبع ـ يقول ابن خلدون:

الكهانة من خواص النفس الإنسانية ذلك أن لها استعداداً للانسلاخ من البشرية إلى الروحانية وهذا الاستعداد موجود في الأنبياء بما فُطروا عليه بغير اكتساب ولا استعانة بشيء من المدارك ولا

---

(١) التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام ـ د/ توفيق الطويل ـ دار إحياء الكتب العربية، سنة ١٩٤٥ ص ٩٣ ـ ١٠١.

(٢) المرجع السابق ـ نفس الصفحة.

التصورات ولا الأفعال، وهناك صنف آخر من البشر مفطور على أن تتحرك قواه العقلية بالإرادة عندما يبعثها النزوع لذلك، وهي تتشبث بأمور جزئية محسوسة أو متخيلة كالأجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسجع الكلام وما سنح من طير أو حيوان، وذلك للاستعانة به في ذلك الانسلاح الذي يقصده، وهذه القوة التي هي مبدأ لذلك الإدراك هي الكهانة[١].

ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور فإن الكهّان لا يستطيعون الوصول إلى الكمال في إدراكه للغيبيات فوحيه من وحي الشيطان[٢].

وقد زعم بعض الناس أن الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة، وأن ذلك كان لمنعهم من خبر السماء، والكهان إنما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ، ولا يقوم من ذلك دليل لأن علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضاً، والآية إنما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك، وأيضاً فإن هذا الانقطاع كان بين يدي النبوة فقط، ولعلها عادت بعد ذلك إلى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر، لأن هذه المدارك تخمد في زمن النبوة كما الكوكب عند

---

(١) مقدمة ابن خلدون ـ ص ٩٩ ـ ١٠٠ . دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٠٠ .

وجود الشمس لأن النبوة هي النور الأعظم.[1].

وهكذا نجد في النوع الإنساني أشخاصاً يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك إلى صناعة ولا غيرها وإنما يدركون ذلك بفطرتهم[2].

درجات الكهان:

يعتبر ابن خلدون أرفع درجات الكهانة ما كان بلا نظر في شيء ولا معاناة وأخبر الكاهن فيه عن علمه في لغة مسجوعة ثم يقول:

فأما الناظرون في الأجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها وأهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل الكهان، إلا أنهم أضعف رتبة فيه في أصل خلقهم، لأن الكاهن لا يحتاج في رفع حجاب الحس إلى معاناة، وهؤلاء يعانونه، فيعكف أحدهم على المرئي البسيط ـ الأجسام الشفافة ونحوها ـ حتى يرى مدركه الذي يخبر به، وربما يظن البعض أن هؤلاء يشاهدون مدركاتهم في سطح الجسم الشفاف الذي ينظرون فيه وهذا غير صحيح، فهم يستمرون في النظر إلى المرآة حتى يغيب البصر ويبدو بينهم وبينها حجاب كأنه غمام يرون فيه ما يتنبؤون به.

ومن هؤلاء من يشغل النفس بالبخور ثم العزائم ويخبرون بمدركاتهم التي يزعمون أنهم يرونها متشكلة صوراً في الهواء تحكي

(١) السابق ص ١٠١.
(٢) السابق ص ١٠٥.

لهم ما يريدون معرفته بالمثال والإشارة[1].

وهكذا يبقى ابن خلدون دائماً يسبق عصره ويتناول القضايا بتفصيل وتعمق وجرأة وربما كان الفارق الزمني غير واضح في تناوله لهذه الظاهرة التي لم يتقدم البشر في فهمها كثيراً إلا في نصف القرن الأخير.

العرافة:

شرح العلامة طاش كبرى زاده معنى العرافة وقدم مجموعة وافية من الأمثلة توضح حدود التعريف وتكاد تخرج به عن مشابهة الكهانة يقول كبرى زاده: «علم العرافة هو الاستدلال ببعض الحوادث الحالية على الحوادث التالية بمناسبة بينهما أو مشابهة خفية أو ارتباط بينهما إما لكونهما معلولي أمر واحد أو لكون ما في الحال علة لما في الاستقبال بحيث يكون الارتباط بينهما خفياً لا يطلع عليه إلا الأفراد، إما بتجارب شاهدوها في أمثالها أو بحالة مودعة في نفوسهم بحيث يغلب على طابعهم علم الغيب[2].

ويروي كبرى زاده مجموعة من الأمثلة توضح التعريف منها:

١ ـ لما خرج الإسكندر لغزو فارس مرّ بامرأة تخيط ثوباً فقالت له: أيها الملك أعطيت ملكاً ذا طول وعرض، ثم مر عليها ملك

(١) ابن خلدون ـ المقدمة ـ ص ١٠٧.

(٢) مفتاح دار السعادة ـ طاش كبرى زاده ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١/ ١٩٨٥. ص ٣٣٢ جـ ١.

الفرس فقالت له: سيمزق الإسكندر ملكك، فغضب الملك فقالت: لا تغضب، إن النفوس قد تشاهد أموراً قبل وقوعها بعلامات تحكم النفس بصدقها، فإنني لمّا مرّ عليّ الإسكندر كنت أدبر طول الثوب وعرضه، ولما مررت أنت كنت قد فرغت منه وأردت قطعه، وكان الأمر كما قالت.

٢ ـ كان في عهد هارون الرشيد عرّاف أعمى وكان يستدل ـ إذا سئل عن شيء ضائع ـ بكلام يصدر عقب السؤال، فسرق يوماً من خزانة الرشيد بعض الأشياء فطلب الرجل وأمر أن لا يتكلم أحد بعد سؤاله عن الشيء المسروق، ففعلوا كما أمر.

وألقى الأعمى سمعه ينتظر سماع شيء فلم يسمع شيئاً، فأمر يده على البساط فوجد فيه نوى تمر فقال: إن المسؤول عنه در وياقوت وزمرد في سفط فقال الرشيد، أين هو؟ فقال في بئر، فلما وجدوه سأله الرشيد عن كيفية معرفته فقال: وجدت نوى تمر، مطلع النخلة أبيض وهو كالدرة ثم يكون بسراً وهو أخضر وهو لون الزمرد ثم يكون رطباً وهو أحمر وهو لون الياقوت، ثم لما سألتم عن مكانه سمعت صوت دلو فعرفت أنه في بئر[1].

٣ ـ خرج رجلان في خلاص مسجون ووقفا في الطريق على واحد من العرافين فسألاه فقال: أنتما في طلب مسجون فعجبا من ذلك فقال له أحدهما: هل يخلص أم لا؟ فقال: تذهبان فتجدانه قد

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٣٤.

خلص فوجدا الأمر كما قال، فاستدعاه أحدهما وأكرمه وتلطف له في السؤال عن كيفية علم ذلك فقال: نحن قوم نأخذ الفأل بالعين والنظر، فينظر أحدنا إلى الأرض ثم يرفع رأسه فأول شيء يقع عليه نظره يكون الحكم به، فلما سألتماني كان أول ما رأيت ماء في قربة فقلت هذا محبوس، ثم لما سألتماني في الثانية نظرت فإذا هو قد أفرغ فقلت يخلص.

٤ - رأى المهدي رؤيا وأنسيها فأصبح مغتماً بذلك فدله خاصته على رجل كان يعرف الزجر والفأل وكان حاذقاً فلما دخل عليه أخبره المهدي بما أراد فقال:

- يا أمير المؤمنين صاحب الزجر والفأل ينظر إلى الحركة وأفكار الناس، فغضب المهدي وقال:

- سبحان الله العظيم أحدكم يُذكر بعلم ولا يدري ما هو، ومسح بيده على رأسه ووجهه وضرب بها على فخذه.

- فقال له: أخبرك برؤياك يا أمير المؤمنين.

- قال: هات.

- قال: رأيت كأنك صعدت جبلاً.

- قال المهدي: لله أبوك يا سحار، صدقت.

- قال: ما أنا بسحار يا أمير المؤمنين، غير أنك مسحت بيدك على رأسك فزجرت لك وعلمت أن الرأس ليس فوقه شيء إلا السماء فأولته الجبل، ثم نزلت بيدك إلى جبهتك فزجرت لك نزولك إلى أرض ملساء فيها عينان مالحتان، ثم انحدرت إلى سفح الجبل

فلقيت رجلاً من قريش لأن أمير المؤمنين مسح بعد ذلك على فخذه فعلمت أن الرجل الذي لقيته من قرابتك.
ـ قال: صدقت:[1].

ورغم هذه المحاولة ـ المؤيدة بالأمثلة ـ التي تميل إلى التفرقة بين الكهانة والعرافة فإننا نميل إلى تقرير الحقيقة التي سجلها الدكتور توفيق في خاتمة استعراضه لأفكار مفكري الإسلام عند ظاهرة التنبؤ إذ يقول:

«إن مفكري الإسلام ليسوا على اتفاق بصدد التفرقة بين الكهانة والعرافة ورغم هذا الخلاف فإنهم خصوا العرافة بأحداث المستقبل فقط ومنهم من خصها بالقيام على أسباب سابقة تمهد لها، ومن الأصح أن نخصها بما كان عن كسب وخبرة واستدلال وحدس[2].

---

(١) السابق ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥.
(٢) التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام ـ ص ١٠١.

من اصل المصدر

الفصل الخامس

التنجيم

اعتاد الإنسان منذ آلاف السنين على صحبة الشمس والقمر ولفرط اعتياده عليهما وارتباطه بهما كان الكسوف والخسوف من أكثر الأحداث التي يواجهها الإنسان إثارة للأسئلة، وقد لاحظ الفلكيون المصريون القدماء طيلة مئات السنين التي سجلوا فيها الأحداث الفلكية أن كسوف الشمس وخسوف القمر يتبعان دورة تستغرق ١٨ سنة و ١١ يوماً لكي تكتمل.

وقد احتفظ الكهنة بأسرار هذه الدورة التي سميت [بالساروس] مع سائر المعارف الفلكية العملية الأخرى، ومنحتهم هذه المعرفة بالأسرار قوى مدهشة ظاهرياً على التنبؤ بل على التحكم الظاهري في السماوات إذ كان بوسعهم أن يتنبؤوا بأن الإله [الشمس] سوف يحتجب نتيجة للمعاصي التي يرتكبها الشعب فإذا ما حدث الكسوف أمكن للكهنة أن يبشروا باستعادة الشمس وفق شروطهم الخاصة.[1]!!

---

(١) فكرة الزمان عبر التاريخ ـ مجموعة مؤلفين بإشراف جون جرانت وكولن ولسن ترجمة فؤاد كامل ـ عالم المعرفة ـ الكويت ـ عدد ١٥٩ ـ ص ٨٢ ـ ٨٣.

ومع تراكم الخبرات البشرية وتقدم وسائل البحث العلمي والمشاهدة وانضباط مناهج البحث بضوابط أدق بدأت علاقة الإنسان تتكشف في ضوء معطيات جديدة مثيرة، وخلال الخمسين عاماً الماضية أجريت بحوث أثارت ضجة خطيرة وكشفت عن معارف جديدة، وبدايات هذه الثورة شديدة التواضع إذ تتعلق بالحركات الليلية اللطيفة للنبات، وكان العالم الفرنسي دوميران هو أول من سجل هذه الملاحظة هي أن بعض النباتات تطوي أوراقها أثناء الليل وتنشرها طيلة النهار، بل إنها حين توضع في ظلمة دائمة فإن هذا الطي والنشر للأوراق يستمر دون توقف وكأن هذا النبات يعرف متى ينبغي أن يكون الوقت نهاراً ومتى ينبغي أن يكون ليلاً[1].

القمر والأرض:

يدور القمر حول الأرض مرة كل ٢٧،٣ يوماً معطياً وجهه للأرض أما الأرض فتعطي وجهها للقمر مرة كل ٢٤،٨ ساعة، وتتعرض مياه الأرض كلها لجاذبية القمر مرة كل يوم تقريباً فتنجذب إليه ثم تسقط ثانية محدثة حركة المد والجزر اليومية مما يؤثر على الشعور والإدراك عند الكائنات وخاصة التي تعيش على شاطىء البحر، فالمحار مثلاً يلتزم في نشاطه التزاماً تاماً بإيقاع المد والجزر فأثناء المد المرتفع يفتح صدفيته ليتناول طعامه مطمئناً وما إن يحل الجزر يغلقها بإحكام تفادياً للضرر. وقد نقل العالم الأمريكي فرانك

(١) المرجع السابق ص ١٣٤.

براون المحار من شاطىء البحر إلى مركز للأبحاث المائية ووجد أن المحار يلتزم بنفس الإيقاع داخل الحوض المائي الصناعي وبعد أسبوعين تغير إيقاع المحار مع تغير إيقاع المد والجزر في المياه التي كان يعيش فيها على بُعد ألف ميل حيث موطنه الأصلي[1].

وكما أن للقمر إيقاعاً يومياً له كذلك إيقاع شهري فبين اكتمال البدر وحتى الاكتمال التالي يحدث أن يصطف القمر والشمس والأرض في خط واحد وبذلك تتدعم جاذبية القمر بما يضاف إليها من جاذبية الشمس فيحدث مد وجزر أقوى من المعتاد وعندما تعاكس جاذبية الشمس جاذبية القمر يحدث أيضاً لمرتين خلال دورة القمر أن ينخفض المد والجزر عن معدله المعتاد.

والكائنات البحرية تتأثر كثيراً بهذه الدورة ومن أغرب ما يكشف عن هذا التأثير ما يحدث لسمكة [لويثيس تنويس] التي تبدي تكيفاً عميقاً دقيقاً بالحركة الشهرية للقمر، فبعد اكتمال القمر في الشهور من مارس إلى أغسطس من كل عام تظهر هذه الأسماك على شاطىء كاليفورنيا، وما إن يكتمل البدر ويحدث المد الأكبر حتى تخرج هذه الأسماك إلى الشاطىء الرملي وبعد وقت محسوب بدقة تعود ثانية إلى البحر مع إحدى الموجات عندما يبدأ الجزر، وفي اللحظات القصيرة التي تستلقي فيها على الشاطىء تضع بيضها على الرمال المبتلة، وهي مطمئنة أنه سيبقى في مكانه بلا إزعاج لمدة أسبوعين حتى تحل موجة

---

(١) تفسير الأحلام والتنجيم ص ١١ ـ ١٢.

المد العالي التالية عندما يصل الماء إلى موقع البيض الذي يكون قد تهيأ للفقس ومع اللمسة الباردة الأولى للماء يفقس البيض ويندفع السمك الصغير للماء[1].

القمر والإنسان:

بعض الشعوب أطلقت على القمر [اسم القابلة الكبرى] وتصوره (داية) هائلة تدفع بالأطفال خارج بطون أمهاتهم، وقد تصدى لاختبار هذه الحقيقة طبيبان أميريكيان قاما بجمع المعلومات عن أكثر من نصف مليون حالة ولادة تمت في مستشفيات نيويورك بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٥٧ وكشفت هذه العينات الكبيرة عن دلالات إحصائية ثابتة تؤكد زيادة عدد المواليد مع القمر المتناقص عنها مع القمر المتزايد مع أعلى معدل لها بعد اكتمال القمر مباشرة وأقل معدل مع القمر الجديد.

كذلك توجد علاقة أخرى بين الولادة وظاهرة المد والجزر ففي المجتمعات التي تعيش على ساحل بحر الشمال بألمانيا ترتفع نسبة المواليد عادة مع المد العالي وتتكرر هذه الظاهرة في كولون التي تقع على نفس خط العرض وإن كانت بعيدة عن البحر مما يطرح احتمال وجود تأثير للقمر على انقباضات الرحم ليس فقط على سكان السواحل القريبين من حركة المد والجزر وإنما على كل سكان المعمورة.

---

(١) تفسير الأحلام والتنجيم ـ ص ١١ ـ ١٣.

ولما كان موعد الولادة يرتبط بموعد الدورة الشهرية عند المرأة فقد أجريت دراسات على علاقة القمر بحدوث الحمل قام بها العالم التشيكي يوجين يوتاس أثبتت أن قابلية المرأة البالغة للحمل ترتفع في حالة القمر المناظرة لحالتها عند الولادة فإذا كانت قد ولدت والقمر بدراً فإن أعلى احتمالات الحمل عندها تكون عندما يكتمل البدر، وقد قام يوناس بتجربة نظرية على عدد من نساء أوروبا الشرقية فأعطى كل امرأة جدولاً خاصاً يعتمد على حالة القمر لحظة ولادتها وعندما استخدمت النساء هذا الجدول كوسيلة من وسائل منع الحمل أثبت نجاحاً بنسبة ٩٨٪ وطبعاً بدون آثار جانبية، كما أثبتت هذه الجداول فاعليتها في حالة الرغبة في الحمل.

وهناك ارتباط كذلك بين القمر والنزيف الدموي وهي حقيقة كانت حتى وقت قريب تتداول كخرافة بدائية حتى قام طبيب ثقة هو د/ أديسون اندروز يبحث تناول ألف حالة من النازفين بشكل غير عادي أثناء العمليات، والكشف أن ٨٢٪ من نوبات النزيف الحاد تتم بين الربع الأول والأخير للقمر مع ارتفاع هذه النسبة إلى أوجها عند اكتمال القمر في منتصف هذه الفترة.

ويقول الطبيب في نهاية بحثه:

«هذه الحقائق التي وصلت إليها بكل ما فيها من دقة وثبات وإقناع هددت بتحويلي إلى ما يشبه الطبيب الساحر في المجتمعات البدائية فقد أصبحت اقتصر على إجراء العمليات الجراحية في الليالي المظلمة فقط، وأوفر الليالي المقمرة لما يناسبها!!»

وهناك ما يوحي بأن الليالي المقمرة تكون ذات تأثير غريب على بعض الناس ولفظ الجنون الانجليزي [لوناسي] مشتق من اسم القمر [لونا] مما يوحي بصلة ما بين القمر والجنون، وقد بلغ من فرط رسوخ ذلك الزعم أن دخل ضمن نصوص القانون فمنذ مائتي عام كان القانون الإنجليزي يفرق في نصوصه بين المجانين فعلاً والمجانين بسبب القمر، والجرائم التي كان يرتكبها عند اكتمال البدر واحد من أفراد الفئة الثانية كانت تنظرها المحاكم بكثير من الرفق والتساهل.

ومن التقاليد التي رسخت في مصحات الأمراض العقلية إلغاء إجازات العاملين بالمصحة والمشرفين عليها عند اكتمال البدر توقعاً لتأثير القمر على المرضى. وفي القرن الثامن عشر كان يجري ضرب المرضى في اليوم السابق لاكتمال القمر كإجراء وقائي في وجه العنف المتوقع منهم طوال اليوم التالي.

وقد نشر المعهد الأمريكي لعلم طب المناخ تقريراً عن تأثير القمر على التصرف الإنساني وجاد فيه أن الجرائم التي تتم بتأثير المرض العقلي الشديد كالحريق المتعمد وجرائم جنون السرقة والتي تتم تحت الدوافع القسرية والقتل تحت تأثير الخمر كل هذه الجرائم تصل إلى ذروتها عند اكتمال القمر ولا يمنع تأثيره اختفاؤه وراء السحب.

واستطاع عالم الأعصاب والطبيب النفسي ليوناردو رافيتر أن يكشف عن علاقة سيكولوجية مباشرة بين الإنسان والقمر تفسر كثيراً

من هذه الاعتقادات وذلك عن طريق قياس الفرق بين الطاقة الكهربائية الكامنة بين رأس الإنسان وصدره إذ وجد أن أعظم فارق بينهما يكون عند اكتمال القمر خاصة عند مرضى العقل[1].

الإنسان والشمس:

الشمس كتلة ضخمة من المواد الملتهبة يبلغ حجمها مليون من حجم الأرض التي نعيش عليها، يتحطم فيها كل ثانية ٤ مليون طن هيدروجين في انفجارات لا يمكن تصورها ترفع درجة حرارة مركزها إلى ١٣ مليون درجة مئوية، وتنتشر على وجه الشمس بقع سوداء ذات نشاط أكثر عنفاً وهي تهيج من وقت لآخر مولدة عواصف مغناطيسية تؤثر على الأرض، وهذه العواصف القادمة من الشمس هي المسؤولة عن اختلال استقبال الإرسال الإذاعي والتلفزيوني واضطراب الطقس وحدوث الأعاصير والزوابع فوق المحيطات.

وقد استطاع العالم الفلكي هرشل في عام ١٨٠١ أن يصل إلى اكتشاف القانون الذي يحكم نشاط هذه البقع بعد ما ظل العلماء يظنون لفترة طويلة أن نشاطها عشوائي وقد وجد أن نشاطها يتبع دورة تتكرر كل ١١ سنة ووجد العلماء بعد ذلك أن لهذا النشاط أثر على الكثير من مظاهر حياتنا ويمكننا أن نرى تسجيلاً دقيقاً لهذه الدورات في مقطع أي شجرة فالمعروف أننا إذا قطعنا جذع شجرة رأينا في

---

(١) المصدر السابق ص ١١ ـ ١٩ بتصرف. وكذلك الزمان عبر التاريخ ـ مجموعة مؤلفين باشراف كولن ولسن وجون جرانت ص ١٥١ ـ ١٥٣.

مقطعها عدداً من الحلقات داخل بعضها البعض وكل حلقة تدل على سنة من عمر الشجرة ولاحظ العلماء أن الحلقة الحادية عشرة ومضاعفاتها تكون أكثر سمكاً من غيرها، كما تمكن العلماء من قياس هذه الظاهرة بشكل أكثر دقة عن طريق دراسة حفريات طبقة من الطين المتحجر عمرها ٥٠٠ مليون سنة فوجد أن طبقاتها يخضع سمكها لدورة تتكرر كل ١١ سنة.

وقد أثبتت دراسة حلقات مقطع جذع الأشجار القديمة أن أكثر الحلقات سمكاً كانت سنة ١٣٤٨ مما ينبىء بنشاط شمسي عنيف وكانت هذه السنة هي التي شهدت الوباء الرهيب الذي اجتاح العالم، وعندما انتشر وباء الطاعون في انجلترا عام ١٦٦٥ سجلت الأرصاد الفلكية أعلى نشاط للبقع الشمسية، ويقول العالم تشيفسكي إن أخطر الأوبئة الطاعون والكوليرا في أوروبا، والتيفوئيد في روسيا والحصبة الوبائية في شيكاغو كلها حدثت عند أوج النشاط الشمسي الذي يحدث مرة كل ١١ سنة؟ بل إنه يزعم أن الحكومات التي حكمت بريطانيا في الفترة من ١٨٣٠ وحتى ١٩٣٠ كانت كلها حكومات ليبرالية متحررة في سنوات ذروة النشاط الشمسي بينما كانت الحكومات في فترات الهدوء الشمسي حكومات محافظة.

وللعالم الياباني ماكي تاكاتا الأستاذ بجامعة توهو تجارب حول هذه الظاهرة أهمها أنه كان قد ابتكر اختباراً لقياس الزلال في الدم سمي [تفاعل تاكاتا] وتم تعميمه في المستشفيات، والمعروف أن نسبة الزلال ثابتة عند الرجال ومتغيرة عند النساء تبعاً للدورة الشهرية،

وفي عام ١٩٣٨ أفادت كل المستشفيات التي تستخدم هذا الاختبار عن زيادة مفاجئة غير طبيعية في نسبة الزلال عند الجنسين فأجرى تاكاتا اختباراته على رجلين يبعد كل منهما عن الآخر مائة ميل وعلى مدى أربعة أشهر يومياً فوجد أن تغيرات نسبة الزلال متطابقة لديهما واستنتج من ذلك أنها ترجع إلى تغيرات كونية آتية من الفضاء، وعلى مدى عشرين عاماً استطاع تاكاتا إثبات هذا الاستنتاج علمياً عندما اكتشف أن هذه التغيرات تتم عند قيام نشاط كبير في البقع الشمسية.

وقد دعمت جهود تاكاتا ما قام به السوفيات من تجارب حول أثر الشمس على الدم، وقد اقتضى هذا إجراء ١٠٢ ألف اختبار على نزلاء مصحات البحر الأسود لقياس عدد الخلايا الليمفاوية في الدم ووجدوا أن النشاط الشمسي المكثف للبقع الشمسية يهبط بنسبة هذه الخلايا عن النسبة الطبيعية وقد حدث هذا النقص في عامي ١٩٥٦، ١٩٥٧ أثناء النشاط الكبير للبقع الشمسية.

وفي ١٧ مايو ١٩٥٩ حدثت ثلاثة انفجارات شمسية عنيفة وفي اليوم التالي دخل إلى مستشفى البحر الأسود ٢٠ مريضاً يعانون من أزمة قلبية حادة رغم أن المعدل الطبيعي لهذه الحالات لا يزيد عن حالتين يومياً وأظهرت الدراسات في ألمانيا وروسيا أن حوادث المرور تتزايد إلى أربعة أضعاف معدلها الطبيعي في اليوم التالي للانفجارات الشمسية[١].

---

(١) تفسير الأحلام والتنجيم ص ٢٢ ـ ٢٩.

وقد أمكن لأول مرة الوصول إلى طريقة للتنبؤ بالنشاط المحتمل للبقع الشمسية عندما كلفت إحدى الشركات الأميركية جون نلسون بدراسة العوامل التي تؤثر على الاستقبال اللاسلكي وقام نلسون بدراسة تاريخ الاستقبال اللاسلكي الضعيف منذ عام ١٩٣٢ فوجد أنه يرتبط بنشاط البقع الشمسية وعندما درس جون نلسون أوضاع ثلاثة كواكب هي المريخ والمشتري وزحل اكتشف أن النشاط الشمسي يحدث عندما يتواجد كوكبان أو أكثر على استقامة واحدة في اتجاه عامودي على الشمس أو على امتدادها فاكتشف أنه يستطيع التنبؤ بالنشاط المحتمل للبقع الشمسية قبل حدوثه بدقة تصل إلى ٨٠٪ بل وأمكنه أن يصل بتطوير وسائل بحثه إلى التنبؤ بالنشاط الشمسي بنسبة ٩٣٪ وقد كان هذا الاكتشاف أول برهان علمي على تأثير حركة الكواكب على أرضنا مما أدى إلى بداية عهد جديد اختلفت فيه النظرة إلى التنجيم.

التنجيم، أدواته، نتائجه:

لكي ندرك قدر الاختلاف الذي حدث في النظرة إلى التنجيم نقرأ كلمات لابن خلدون تمثل النظرة التقليدية إلى هذه الوسيلة من وسائل التنبؤ يقول:

«ويزعم بعض الناس أن هنا مدارك للغيب من دون غيبة الحس فمنهم المنجمون القائلون بالدلالات النجومية ومقتضى أوضاعها في الفلك وآثارها في العناصر وهؤلاء المنجمون ليسوا من الغيب في

شيء إنما هي ظنون حدسية وتخمينات مبنية على مزيد حدس»[1].

وقد أوردت ما سبق من أبحاث وتجارب تتناول أثر الشمس والقمر والكواكب على الأرض وسكانها فعلم التنجيم يقوم على افتراض أن الظواهر الكونية تؤثر على الحياة وأحداثها على سطح الأرض والأبحاث العلمية حول الطقس وعلاقته بإيقاعات وأوضاع الكواكب مما جعل رفض هذا الفرض الذي يتبناه المنجمون صعباً إلا أن الاختلاف ينحصر في درجة هذا التأثير ورغم أن مزاعم المنجمين لم تزل حتى الآن بلا سند ورغم أن الكثير منها يصعب قبوله على أساس علمي إلا أن بعض هذه المزاعم على الأقل يجد كل يوم أدلة متزايدة على سلامته العلمية.

وكما يقول الأستاذ راجي عنايت:

«كبداية للحديث لا بد أن نسقط من حسابنا كلية ما تنشره الصحف والمجلات في أبواب البخت والحظ فهذا نوع من التسلية ليس له أي أساس علمي أو حتى علاقة حقيقية بفن التنجيم، وهذه التنبؤات تلقى الرفض الكامل الذي تستحقه من المنجمين ومن نقادهم على حد سواء».

ولنبدأ بفهم كيفية قيام المنجم بعمله:

أهم أدوات التنجيم خريطة النجوم [الأوروسكوب] وهي خريطة تفصيلية للأجرام السماوية من زمان ومكان ولادة الشخص،

(١) ابن خلدون ـ المقدمة ـ ص ١١١.

فكما تختلف بصمات الأصابع تختلف خريطة أي شخص عن خريطة الآخر إذا رسمت بدقة، ولتحديد خريطة النجوم لشخص ما هناك خمس خطوات:

١ ـ معرفة وقت ومكان الولادة.

٢ ـ حساب التوقيت الفلكي ويستخلص من قوائم خاصة على أساس توقيت جرنتيس، ومنه يتم تصحيح الوقت وفقاً للمنطقة وخطوط الطول والعرض.

٣ ـ تحديد علامات الطالع، فالكواكب تدور حول الشمس موزعة على ١٢ مجموعة تطلق عليها الأسماء الشهيرة وعلامة الطالع هي المجموعة التي تشرق في أفق السماء لحظة الميلاد.

٤ ـ تحديد علامة سمت السماء وهو البرج الذي يكون فوق رؤوسنا عند الولادة وهذا أيضاً له جداول جاهزة.

٥ ـ تحديد مواقع الشمس والقمر والكواكب على الخريطة الفلكية وهذا أيضاً له جداول تنشر سنوياً.

ويبدأ المنجمون تفسيرهم لعلامات الميلاد بقولهم إن كل ما على الأرض يتأثر بما يجري في الفضاء ويوافق العلماء على ذلك والمنجمون يرون أن الأشخاص والأحداث والأفكار على أرضنا تتأثر جميعاً في وقت تحققها بالظروف الكونية السائدة. والعلماء الذين أمضوا حياتهم في قياس المتغيرات المتصلة في الكون وأثرها على الأرض يؤيدون ذلك والخلاف الوحيد والخطير بين العلماء والمنجمين هو أن المنجمين يقولون إن لكل كوكب تأثيراً خاصاً فهذه

التأثيرات تعسفية جداً ولا يسندها أساس علمي، والمنجمون أنفسهم لا يحاولون مناقشة هذه الدلالات وإنما يسلمون بها كما وصلتهم من أسلافهم، فهم يقولون مثلاً إن عطارد كوكب الذكاء وأورانوس يرتبط بالتغيير المفاجىء وهكذا . . .

أبحاث علمية حول التنجيم:

من بين القوانين التنجيمية التي وجدت سنداً علمياً قولهم إن وجود كوكبين في حالة اقتران أو تقابل بينهما زاوية ١٨٠ أو ٩٠ درجة يعبر عن حالة سيئة وقد أثبتت الأبحاث التي قام بها نيلسون عن الإرسال، أن هذا الوضع هو أسوأ الأوضاع بالنسبة لاستقبال الإرسال، وكما وجد نيلسون أن أفضل الأوضاع لاستقبال الإرسال وجود كوكبين بينهما زاوية ٦٠ أو ١٢٠ درجة يقول المنجمون إن المولود في هذا الوضع هو مولود وضع فلكي طيب.

ولعل أهم الأبحاث العلمية في هذا المجال ما قام به عالم النفس الأمريكي فرنون كلارك الذي بدأ بحثاً يهدف إلى التثبت من مدى صدق تنبوءات المنجمين فجمع الخرائط الفلكية لعشرة أشخاص عملوا لوقت طويل في وظائف ثابتة وقد تضمنت قائمته: (موسيقار، أمين مكتبة، طبيب بيطري، ناقد فني، ممثل، بائع كتب، عالم أعشاب، مدرس آداب، لاعب عرائس، طبيب أطفال) نصفهم من الرجال ونصفهم من النساء، وكلهم من مواليد أميركا وأعمارهم بين ٤٥ ـ ٦٠ سنة وأعطيت الخرائط مع قائمة مستقلة بالوظائف لعشرين

منجماً وطلب إليهم تحديد الخريطة الفلكية التي تخص كل وظيفة فاستطاع ١٧ منهم أن يصلوا إلى نتائج ملفتة.

ومضى كلارك بعد ذلك في تجاربه لمعرفة مدى قدرة المنجم على التنبؤ بأثر الخريطة الفلكية على الحياة الشخصية فأعطى نفس المنجمين عشرة أزواج من الخرائط ومع كل زوج قائمة بتواريخ بعض الأحداث الهامة مثل الزواج، إنجاب الأطفال، الوفاة وكان على المنجم أن يحدد أي الخريطتين هي التي تخص الشخص صاحب هذه التواريخ، وزاد من صعوبة العمل أن كل زوج من الخرائط كان لأشخاص من نفس الجنس ومحل الإقامة والعمر.

واستطاع ثلاثة من المنجمين أن يصلوا إلى الحل الكامل، ووصل الباقون إلى نتائج أقل ولكنها تتجاوز معدل الصدفة، ولم يكتف كلارك بهذا فقام باختبار ثالث استبعد فيه كل المعلومات وأعطى كل منجم عشرة أزواج من الخرائط وطلب منهم أن يحددوا أي خريطة من كل زوج أصيب صاحبها بالشلل المخي فحقق المنجمون نتائج إيجابية تتجاوز نسبة الصدفة[1].

أبحاث ميشيل جاكلين:

في عام ١٩٥٠ وربما لأول مرة في تاريخ العلم تفرغ عالم أوروبي هو ميشيل جاكلين لدراسة إيقاعات الكواكب ومدى أثرها على حياتنا، وقد ساعده في بحثه ما جرى عليه العرف في أوروبا من

(١) تفسير الأحلام والتنجيم ص ٤٤ ـ ٥٢.

تسجيل اللحظة المحددة للميلاد لعديد من الناس وعلاقة لحظة الميلاد بأوضاع الكواكب بالنسبة للأرض من واقع الجداول الفلكية.

اختار جاكلين ٥٧٦ عضواً من الأكاديمية الفرنسية الطبية كموضوع لدراسته الأولى، فاكتشف أن نسبة عالية منهم ولدوا عندما كان المريخ وزحل قد ظهرا لتوهما عند الأفق أو كانا قد بلغا أعلى ارتفاع لهما في السماء وعندما أراد التثبت من هذه النتائج أجرى تجربة أخرى على ٥٠٨ أطباء شهيرين آخرين فوصل إلى نفس النتيجة.

وواصل ميشيل جاكلين أبحاثه على المهن الأخرى غير مهنة الطب بين مشاهير الفرنسيين ومرة أخرى وجد ارتباطاً مثيراً بين المهنة وأوضاع الكواكب لحظة الميلاد:

فمشاهير الأطباء والعلماء يولدون عندما يصعد المريخ فوق الأفق.

بينما يندر أن يولد الفنانون والمصورون والموسيقيون في ذلك الوقت.

أما القادة العسكريون ورجال السياسة فيولدون في ظل شروق المشتري عند الأفق بينما يندر ولادة العلماء في ذلك الحين.

وفي مواجهة المعارضة العلمية التي لقيها - اكلين عندما أعلن نتائج دراسته قام على مدى سنوات طويلة بدراسات مشابهة في إيطاليا وألمانيا وهولندا وبلجيكا تضمنت ٢٥ ألف حالة فوصل إلى نفس

النتائج: العلماء والأطباء يرتبط ميلادهم بشروق المريخ وزحل، العسكريون والسياسيون وأبطال الرياضة يولدون عند شروق كوكب المشتري، الكتاب والمصورون والموسيقيون لا يرتبط ميلادهم بأي كوكب من الكواكب ولكنهم لا يولدون في ظل المريخ أو المشتري، كما أن أصحاب المهارات الفردية كالأدباء وعدائي المسافات الطويلة فيميلون للارتباط بالقمر أكثر من ارتباطهم بأي كوكب.

وقد أثبتت دراسات ميشيل جاكلين أن هناك ارتباطاً إيجابياً بين أوضاع الكواكب ومهنة الوليد، ومن المهم التأكيد على أن الحديث يدور عن أوضاع الكواكب وليس عن الكواكب نفسها.

وقد واصل جاكلين تجاربه بعد ذلك للتثبت من فرض خطر على ذهنه وهو وجود علاقة بين أوضاع الكواكب عند ولادة الأبوين ووليدهما، ولاختبار هذا الفرض عمل جاكلين لأكثر من خمس سنوات معتمداً على بيانات المواليد لعدة مناطق حول باريس، جامعاً المعلومات اللازمة لأكثر من ٣٠ ألف حالة طفل وأبويه، وفي نهاية بحثه اكتشف دليلاً ثابتاً على أن الآباء والأمهات الذين يولدون عند طلوع كوكب معين غالباً ما يولد أطفالهم في ظل نفس الكوكب وقد وجد أن هذا الكشف يظل قوياً ثابتاً في وجه العوامل المتغيرة المختلفة مثل جنس المولود وطول مدة الحمل وعدد مرات الحمل السابقة غير أن الارتباط يكون أكثر ثباتاً عندما تتفق ولادة الأبوين عند طلوع نفس الكوكب.

وقد استنتج من هذا كله أن دراسة أوضاع الكوكب في لحظة

الولادة تتيح الوصول إلى نوع من التنبؤ حول مستقبل الوليد وخصائص طبعه وأنماط سلوكه الاجتماعي(١).

ولا شك أن النصف الثاني من هذا القرن قد شهد دراسات حول هذا الجسر الذي ظهر إمكان إقامته بين قوانين التنجيم واكتشافات العلم مما يطرح احتمال وجود «تنجيم علمي» أو وجود مبرر ذي سند من العلم لاعتباره «علماً».

---

(١) تفسير الأحلام والتنجيم ص ٣٧ ـ ٤٠.

هنا أصل المصدر

الفصل السادس

الأحلام المستقبلية

أثناء دراستي بكلية دار العلوم روى لنا أحد أساتذتنا أثناء دراسة ظاهرة الوحي قصة طريفة عن الأحلام المستقبلية، فقد كان أحد أصدقائه يرى حلماً يتكرر بنفس التفاصيل إذ يرى نفسه مسافراً في سفينة تهبط في ميناء لا يعرفه، وظل الحلم يتكرر على فترات متباعدة فإذا به بعد سنوات يسافر في نفس السفينة التي رآها في الحلم وينزل الميناء الذي رآه في منامه ويسير فيه وكأنه يعرفه.

فقد كانت القبائل البدائية تعتبر الأحلام المتجلية لها أهمية خاصة من الناحية الروحانية وأنها تعني الدخول إلى عالم الروح، وأن الشخص الذي تعاوده يملك صفات روحانية خاصة، ترشحه لأن يكون من الكهنة أو [الشامانShaman] وهو ساحر القرية المقدس.

وكانت بعض القبائل تعتبر تلك الأحلام زيارة خاصة من الآلهة للفت النظر، لخطورة ما تهدد حياة فرد أو مجتمع وتنذر بها قبل حدوثها[١]، وصفحات التاريخ حافلة بأحلام مستقبلية كانت لها آثار خطيرة في حياة أفراد وأمم مثل بوذا وزيركس ولويس السادس وهتلر

---

(١) العلم وتفسير الأحلام ـ د/ عبد الرحمن نور الدين ـ ص ٦٢ ـ ٦٣ ـ دار الهلال.

وغيرهم من الملوك وقادة الجيوش بل إن أحد أساتذة علم النفس الأميركيين أنشأ عام ١٩٣٠ قسماً لدراسة الظواهر الخارقة بالجامعة التي يعمل بها إثر رؤيته لحلم مستقبلي ذي تفاصيل عجيبة حدث كما رآه.

ولا يغيب عن بال القارىء رؤيا فرعون للسنابل السبع والبقرات السبع وتأويل يوسف عليه السلام لها ورؤيا فرعون موسى التي أدت إلى أمره بقتل كل غلام ذكر يولد لليهود في مصر، وهي رؤى مستقبلية يعرفها كل مسلم ولا شك لورودها في القرآن الكريم أو أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

الظاهرة والتفسير:

مر منذ قليل تقديس الشعوب البدائية للرؤيا المستقبلية، وقد أدى هذا التقديس إلى محاولة إيجاد تفسير لهذه الظاهرة خاصة مع تقدم الجنس البشري وخروجه من طور البدائية، وكما اعتبرها البدائيون زيارة من الآلهة أو رسلها كانت لها في وجدان الإنسان العالم المتفلسف مكانة خاصة، فهي عند ابن سينا، أهم أنواع الأحلام وأنفعها وتنشأ عن اتصال النفس بالملكوت ويحدث ذلك أثناء النوم وفي بعض حالات اليقظة ويكون بمثابة الإنذار والإخبار بما سيكون وذلك أن يؤتى المستعد لذلك ما يقوى به على تخيلات الأمور الحاضرة والماضية والاطلاع على الأمور المستقبلة فيلقى إليه كثير من الأمور التي تكون في زمان المستقبل فينذر بها وبالجملة يتحدث

عن الغيب فيكون بشيراً ونذيراً[1].

ويرى ابن خلدون أن النفس تتجرد عن ماديتها وتصير روحانية فتقتبس علم ما تتشوف إليه من الأمور المستقبلة فإن كان الاقتباس جلياً رأت ما سيكون كما هو بغير حاجة إلى تفسير وإن كان الاقتباس غير جلي جاء في صورة رمزية تحتاج إلى تأويل، والنفس حينئذ تدرك عن غير طريق الحواس[2].

ورغم تقدم علم النفس خاصة في القرن العشرين إلا أنه قدم نظريتين لتفسير ظاهرة الأحلام مجملة دون تفرقة بين الأحلام الاستشرافية وغيرها، وقد اعتبرت إحداهما الحلم وسيلة للتنفيس عن رغبات مكبوتة يحاول تفسيرها في الحلم [مدرسة فرويد] بينما رأت الأخرى أن الحلم ليس إلا استعادة للهموم اليومية في شكل رمزي [مدرسة يونج] وبين هذين التفسيرين ظلت الأحلام الاستشرافية مستعصية على التفسير فلجأ البعض إلى الفيزياء لتفسيرها مستفيدين بكشف أينشتين المثير عن النسبة، ونظرية سنيل عن المادة وخرجوا بعدة تفسيرات أهمها:

١ ـ أن الرأي السائد بين الفيزيقيين يتجه إلى اعتبار الكون كله مؤلفاً من أمواج كهربائية وما المادة إلا أمواج كهربائية كورت في حيز ضيق، وعلى هذا الأساس يبني سنيل فرضيته فهو يرى أن كل مادة

(١) الإدراك الحسي عند ابن سينا ـ د/عثمان نجاتي ـ دار المعارف ـ ١٩٤٦ ـ ص ٢٠١.

(٢) يرجع إلى مقدمة ابن خلدون ـ طبعة دار إحياء التراث ـ بيروت ـ ص ١٠٤.

الكون تبعث ذبذبات وأمواجاً أثيرية خاصة لا تدركها الحواس الخمس [وهذه حقيقة قررها البروفسور دنكان أستاذ العلوم الطبيعية في جامعة نيويورك سابقاً] ويؤيد هذه الفرضية أن الأبحاث الحديثة اكتشفت أنواعاً معينة من الأمواج الكهربائية تنطلق من دماغ كل إنسان. ويذهب الدكتور دايفس إلى أن كل فرد يطلق أمواجاً أثيرية خاصة به دون غيره، فالسبب في حدوث الظواهر الخارقة إذن أن منطقة معينة من جسم الإنسان تتلقى أمواجاً كهربائية يتأثر بها من حيث لا يشعر.

وقد اعترض على هذا التفسير أولاً بأن الأمواج الكهربائية تضعف ببعد المسافة، وقد اكتشف الباحثون أن التنبؤ لا يتأثر ببعد المسافة، وثانياً بأن التنبؤ لا يدخل في هذا التفسير إذ لا يتصور صدور أمواج عن شيء لم يوجد بعد.

وقد أجيب عن الاعتراض الأول بأن سرعة الأمواج الكهربائية تختلف باختلاف أطوالها والموجة القصيرة لا يؤثر عليها البعد والقرب وقد تكون الموجات التي يطلقها الدماغ ويتلقاها من أقصر الأمواج الكهربائية، أما التنبؤ فيمكن أن يبنى على نظرية أينشتين في الزمان.

فالفضاء في تصورنا له ثلاثة أبعاد: الطول والعرض والارتفاع بينما الفضاء عند أينشتين له أربعة أبعاد: الطول والعرض والارتفاع والزمان، وبالتالي فالزمان ليس مجرد محاولة بشرية لقياس أفعالنا ولكننا لا نستطيع إدراكه بحواسنا، ومعنى هذا أن التنبؤ عن حوادث

المستقبل لا يختلف في جوهره عن الإحساس بأشياء أخرى، فكما تخترق النفس البشرية الخارقة المسافة المكانية تستطيع اختراق المسافة الزمانية[1].

٢ ـ التفسير الثاني ينقله الدكتور عبد الرحمن نور الدين في كتابه «العلم وتفسير الأحلام» يقول: الزمن الذي نعرفه نسبي فكل مكان له زمانه الخاص، الذي يختلف عن زمن الحياة الأرضية الذي نعرفه ومعنى ذلك أن الأحداث التي يعيشها الإنسان [ماضٍ وحاضر ومستقبل] موجودة في زمان ومكان متغير والإنسان يمر بها ويعتبر المستقبل هو الحدث الذي لم يصل إليه الإنسان بينما هو موجود في الزمان والمكان الخاص به.

والإنسان أثناء اليقظة يتوافق إيقاعه مع الحياة أما في الأحلام خاصة الأحلام المتجلية أو أحلام التنبؤ فإن الإيقاع يختلف بحيث يستطيع أن يرى ما سيحدث في المستقبل قبل أن يحدث فعلاً، ويوافق علماء الروح على هذه النظرية ويقولون إن الأحلام والرؤى خاصة بالجسم الأثيريAstral Body وهو جسم شفاف خفيف يحيط بنا ويحتوينا ولا يتصل بالجسم إلا عن طريق حبل سري يصله بالمخ، وأن مقدم الجبهة هو مكان الاتصال وبالتحديد بين الحاجبين ويتم الاتصال فعلياً عن طريق الغدة الصنوبرية الموجودة في قاع المخ والتي لم تعرف وظائفها بالتأكيد حتى الآن، وإن ثبت أنها تفرز بعض

---

(١) مجلة المعارج ـ المجلد الأول ـ عدد ٩ ـ مقالة للشيخ مهدي شمس الدين ـ ص ١٤ ـ ١٥.

الهرمونات الخاصة بالتعرف على الضوء في الليل والنهار وأثناء اليقظة والنوم، ورغم أن هذه الغدة تقوم عند الحيوانات بدور هام جداً إلا أنها ما تزال في جسد الإنسان مجهولاً.[1]

والذي لا شك فيه أن محاولات التفسير لم تزل طفولية أو قاصرة إلى حد كبير وتقوم على أسس افتراضية تماماً فلا ينبغي أن يتسرع القارىء بتبني إحدى النظريات المفترضة فنحن لم نر من جبل الجليد العائم إلا قمته وأكثره ما زال تحت الماء!

---

(١) العلم وتفسير الأحلام ـ ص ٦٤ ـ ٦٧.

الفصل السابع

أشكال أخرى من التنبؤ

ألحق العلماء بأشكال التنبؤ أشكالاً أخرى غير السابق ذكرها، أهمها الفراسة وقراءة الكف التي اعتبرت من أشياء الفراسة، فأما الفراسة فيتحدث النويري عن بعض معتقداتها في نهاية الأرب فيقول:

«يقولون: عظم الجبين يدل على البله، وعرضه يدل على قلة العقل، وصغره يدل على لطف الحركة، والحاجبان إذا اتصلا على استقامة دلاّ على تخنيث واسترخاء، وإذا مالا نحو الصدغين دلاّ على سخرية واستهزاء، والعين إذا كانت صغيرة دلت على خبث في الطباع، وإذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة في حجمها دليل فطنة وحسن خلق ومروءة، والناتئة[1] على اختلاط عقل والتي يطول تحديقها على حمق، والتي تكسر طرفها على طيش، والأذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان[2]».

---

(١) العين الناتئة = العين البارزة عن مكانها الطبيعي أو الجاحظة.

(٢) نهاية الأرب للنويري ـ جـ ٣ ـ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٣٠ ـ ط ٢.

ويحدد الدكتور توفيق الطويل مجال العلوم الملحقة بالفراسة بقوله:

«علم أشباه الفراسة يدخل فيه محاولة استكناه الأعمار طولها أو قصرها، وما ينتظر الإنسان من سعادة أو شقاء، وثراء أوعدم من الدلالات التي تحملها الخطوط القائمة في الأكف والأقدام والجباه استناداً إلى ما بينها من تقاطع وتباين وطول وعرض وقصر وما يفصل بينها من فرج متسعة أو ضيقة»[1].

وقد مر هذا العلم بتراكمات كبيرة عبر الزمان والمكان اختلطت فيها الحقائق بالخرافات وأصبح من الصعب على القارىء في كتب هذا العلم أن يضع يده على ثوابت مما دفع بعض المهتمين إلى محاولات جادة لتنقية هذا الكم الهائل من المعارف بوسائل علمية، وقد تم إنشاء مدرستين متخصصتين في قراءة الكف إحداهما في إنجلترا والأخرى في فرنسا.

وقد بدأ الاهتمام بمعالم وتضاريس الكف حديثاً بين علماء الوراثة لما تكشف عنه هذه المعالم من خصائص وراثية وذلك لأنها تتحدد بصفة نهائية خلال الشهر الثالث أو الرابع من حياة الجنين وقبل ولادته وتبقى على شكلها الأساسي لباقي حياته، والمعروف أن توزيع التلال والأخاديد في راحة الكف يعتمد على توزيع الغدد العرقية ونهايات الأعصاب وهذا التوزيع يبقى ثابتاً في أساسه لا يمكن محوه

---

(١) التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام - مرجع سابق - د/ توفيق الطويل ص ١٤٣.

أو تغيير معالمه، فإذا أصيبت الكف بحرق شديد فإن نفس التضاريس القديمة تعود إلى الظهور بمجرد التئام الجلد وعودته لحالته الطبيعية.

وكان الطبيب التشيكوسلوفاكي يان بوركنج هو أول من وصف بشكل علمي هذه التلال والأخاديد التي بالكف وأول من أجرى تصنيفاً لها في محاولة لإظهار دلالتها الطبية الأمر الذي ما زال مأخوذاً به حتى الآن في الأوساط الطبية.

وفي لندن تشكلت بعد ذلك جمعية سميت [جمعية دراسة النمط النفسي من واقع الكف] وقد اتخذ علماء التشريح موقفاً مغايراً إذ اعتبروا خطوط الكف ناتجة عن عملية ثني الكف وفردها وإن لم يفسروا سبب تباين أشكالها وليصح هذا الفرض يجب أن تكون خطوط الكف للشخص الذي يمارس نفس الحركات طوال حياته ثابتة لا تتغير، وهناك حالة تثبت خطأ هذا الفرض الذي تبناه علماء التشريح، فقد سقط أحد عمال البناء من مكان مرتفع وأصيب بإصابات خطيرة تسببت في غيابه عن الوعي أسبوعين وكانت تتم تغذيته بالحقن في الجهاز الدوري، وبعد أسبوع من الحادث اختفت كافة التفاصيل من يده وبمجرد عودته إلى وعيه عادت بالتدريج.

وكان أول من عمد إلى تشخيص المرض عن طريق دراسة معالم الكف من العلماء الموثوق بهم هو السير فرانسيس جالتون ابن عم تشارلز داروين، حيث جمع جالتون مجموعة كبيرة من رسوم الكف وتقدم بها إلى جامعة لندن، ففي عام ١٩٥٩ أمكن إثبات أن مرض [المنغولية] يرجع إلى خلل الكرومزومات، وأن هذا الخلل

يرسم على كف المصاب بهذا المرض خطاً متميزاً يسمى [خط سيميان] في الجزء العلوي من راحة الكف، ومن ذلك التاريخ أمكن الربط بين ما يزيد على ثلاثين حالة من حالات المرض الخلقي أو الفطري وبين أشكال خاصة لراحة اليد تظهر حتى قبل ظهور أعراض المرض.

وفي عام ١٩٦٦ أمكن لأول مرة إثبات صلة بين الأشكال الغريبة في الكف وبين الإصابة بأنواع من الفيروس، وفي نيويورك أمكن التعرف على شكل خاص في كف ثلاثة أطفال ولدوا لأمهات أصبن بالحصبة الألمانية أثناء الشهور المبكرة للحمل، ورغم أن الأطفال لم يتأثروا صحياً بما حدث لأمهاتهم إلا أن الأشكال المتميزة في كف كل طفل ظهرت متطابقة.

وفي عام ١٩٦٧ استطاعت مجموعة من الأطباء اليابانيين توسيع نطاق التجربة في مستشفى أوزاكا، وكان هدف الدراسة التعرف على التاريخ الطبي للشخص من واقع كفه، وبعد أن جمعوا ما يزيد على ٢٠٠ ألف رسم للكف مرفق بكل رسم منها تاريخ صاحبها الطبي، وجدوا ارتباطاً قوياً بين بعض هذه الرسوم والأمراض التي يعاني منها أصحاب الأكف.

وقد توصلوا إلى أن هناك عوامل أخرى تدخل في الاعتبار منها طول الكف وعرضها والطريقة التي تتكون بها وتنقسم إلى جذر ومثلثات، وكذلك لون الكف وملمسها وأصبح بإمكانهم الآن بمجرد النظر إلى كف الشخص أو إلى رسم لهذه الكف أن يحددوا ما إذا كان

صاحبها يعاني منذ وقت قريب من مرض عضوي مثل خلل الغدد أو تشوهات النخاع الشوكي أو عجز الكبد أو الكلى، كما استطاعوا التنبؤ بدقة عالية باحتمالات الإصابة في المستقبل ببعض الأمراض المعدية مثل التدرن الرئوي بل وفي بعض الحالات السرطان[١].

وأطرف أشكال التنبؤ معرفة طبيعة الشخصية هي قراءة خط الكتابة وفي هذا الصدد يقول أحد علماء النفس الأميركيين «ليس من قبيل الصدفة أبداً الصورة الخاصة والشكل المحدد الذي نكتب به، مدى استطالة الخطوط الرأسية، وكيفية ميل الخطوط المنحرفة، وشكل الخطوط المنحنية وأشباه الدوائر وأين نضع النقاط على الحروف، فهذه الأمور جميعاً تحكمها قوانين الشخصية الإنسانية، الحركات التي تؤديها أثناء الكتابة تكون أشبه بالإيماءات التي تصدر عنك وتكشف عما تحمله داخلك من مشاعر، فكل ما يثيرك أو يزعجك أو يفرحك سواء من الناحية النفسية أو الجسمانية يجد تعبيراً عنه عند طرف القلم الذي تكتب به»[٢].

وقد تكون الأبحاث التي تجري حول هذه الأشكال حديثة إلى حد ما إذا ما قورنت بالدراسات التي أجريت على الأشكال الأخرى إلى جانب عدم ارتباطها بأشخاص موهوبين وهو ما يجعلها قليلة الإثارة، ولكن الذي لا شك فيه أن النتائج التي تحققت في المعامل

(١) تفسير الأحلام والتنجيم ص ٧٥ ـ ٩٥.
(٢) السابق ـ ص ١٠٢.

تعتبر مبهرة ومبشرة بآفاق جديدة يتاح فيها للعلماء فهم الكثير من أسرار الكون وبالطبع أسرار الإنسان.

ولعل مما يبشر بعهد من ازدهار الدراسات حول هذه الأشكال هو تعاون علماء من مختلف التخصصات مع مراكز علمية لها شهرة أكاديمية وسمعة يعتد بها، إلى جانب تضاؤل مساحة الريبة التي كانت تقف حاجزاً ولمدة طويلة يحول دون تنقية هذه المعارف البشرية من الخرافات لتضاف إلى رصيد المعرفة البشرية العلمية.

الفصل الثامن

من أشهر المتنبئين

أسماء المتنبئين والمتنبئات في التاريخ العربي كثيرة ولكن أخبارهم قليلة فإذا استطلعنا الأسماء وجدنا خافر بن التوأم الحميري وسواد بن قارب الدوسي وسطيح الغساني وشق بن صعب النزاري، ومن النساء طريفة الخير كاهنة اليمن وهي أقدمهم وزبداء بين الشحر وحضرموت، وسلمى الهمدانية الحميرية وعفيراء الخميرية وفاطمة الخثعمية وزرقاء اليمامة وسعدى بنت كريز خالة عثمان بن عفان وربيعة بن حذار الأسدي.

فإذا أردنا تصور كم الغيابية التي تحيط بسير هؤلاء نتتبع ما كتبه المؤرخون عن بعضهم فمثلاً سطيح وشق كاهنا اليمن يروى عنهما ما يأتي:

١ ـ أما سطيح فهو ربيع بن ربيعة بن مسعود وينتهي نسبه إلى غسان، أما شق فهو ابن صعب بن يشكر وينتهي إلى نزار، ويقال إن سطيحاً كان لا أعضاء له وإنما كان مثل السطيحة ووجهه في صدره وكان إذا غضب انتفخ وجلس. وكان شق نصف إنسان ويقال إن خالد بن عبد الله القسري كان من سلالته. [البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ جـ ٢ ـ ص ١٦٢ ـ دار الفكر العربي].

٢ ـ كان سطيح يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب، لا عظم فيه إلا جمجمة رأسه وكانت إذا لمست باليد يلين عظمها. [مروج الذهب ـ المسعودي ـ جـ ٢ ص ١٧٩ دار المعرفة بيروت].

٣ ـ كان سطيح لا جوارح له ولا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ فجلس، ويذكر أن وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق. ويذكر عن وهب بن منبه أنه قال: قيل لسطيح أنى لك هذا العلم؟فقال: لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى موسى عليه السلام فهو يؤدي من ذلك ما يؤديه.

وسمي سطيح بذلك لأنه كان نصف إنسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة، وولد شق وسطيح في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة وهي بنت الحميرية امرأة عمرو بن عامر فدعت بشق وسطيح قبل أن تموت فتفلت في فيهما وأخبرت أنهما سيخلفانها في كهانتها[1].

٤ ـ كان أول ما تكهن به سطيح الغساني أنه كان نائماً في ليلة مظلمة مع حرمته في لحاف، والحي نائمون إذ زعق من بينهم ورن وتأول وقال: والضياء والشفق والظلام والغسق ليطرقنكم ما طرق، قالوا وما طرق يا سطيح ؟ قال: ما طرق إلا الأجلح حين سرى الليل البهيم الأفلح، قالوا وما علامة ذلك يا سطيح؟ قال: أمر يسد النقرة ذو حبة في الوجرة ومرة بعد مرة في ليلة قرة.

---

(١) سيرة ابن هشام ـ جـ ١ ـ ص ١٦ الهامش طبعة التوفيقية.

فانصرفوا عن قوله واستهانوا بأمره فجاءتهم العاصفة في ليلة باردة فساقت الأنعام والمواشي وكادت تذهب بهم[1].

أما زرقاء اليمامة فرغم شهرتها لا يوجد عن حياتها تفاصيل تذكر فيروي النويري عنها: أنها كانت ترى الراكب على مسيرة ثلاث ليال، وعندما أرادت قبيلة أن تهاجم قبيلتها وكان أخوها ضمن جيش المهاجمين فأنذر قائده وعرفه بأمر أخته ونصحه بأن يستتر كل جندي وراء شجرة ففعل، ورأت زرقاء اليمامة الشجر المتحرك فأخبرت قومها فكذبوها وحدث ما كانت تخشاه، ووقعت زرقاء اليمامة في الأسر، فنزعت عيناها فإذا فيها عروق سود وسئلت عن ذلك فقالت «حجر أسود كنت أكتحل به فنشب إلى بصري، فأمر بها الملك المنتصر فصُلبت[2].

وهكذا رغم كثرة الأسماء لا يظفر المنقب في التاريخ بكثير من التفاصيل حول حياتهم، هذا بالطبع إلى جانب العديد من الأسماء الأقل شهرة من كهان القبائل وأصحاب الحكومات [الفصل في الخلافات] كالأفعى الجرهمي وغيره.

---

(١) نهاية الأرب ـ النويري ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٣٠ ـ ص ٩٩ ـ جـ ٢.
(٢) نهاية الأرب ـ ٢/ ٥٧ ـ ٥٨.

بيتر هوركوس

قليلون هم من يتصدون للكتابة عن ظاهرة القدرات الخارقة بشكل موضوعي وعلمي أمين ومن بين هذه القلة ينفرد الأستاذ راجي عنايت بمكانة خاصة إذ صدر له في السنوات الماضية عدة دراسات قيمة ومن بينها كتاب رجل يعرف كل الأسرار، الذي يعد من أكثرها إثارة ويحكي فيه قصة هذا المتنبىء «بيتر هوركس».

ولد بيتر هوركس في مدينة دوردريشت الصناعية الصغيرة بهولندا يوم ١١ مايو ١٩١١ واسمه الحقيقي بيتر كورنيليس درهورك وأثناء ولادته لاحظت القابلة وجود غشاء رقيق يحيط برأسه وهو غشاء نادراً ما يبقى حتى الولادة ويعتبر تكونه بهذا الشكل حالة نادرة للغاية، والطريف أن الهولنديين يعتقدون أن من يولد بهذا الغلاف تكون لديه القدرة على التنبؤ بأحداث المستقبل، وقد أدى التصاق جزء من الغشاء بعينيه إلى أن يظل كفيفاً ستة أشهر حتى تم إزالة هذا الجزء بمعرفة الطبيب وإن ظل هوركس يعاني طيلة حياته من ضعف شديد في بصره.

نشأ بيتر طفلاً عليلاً، وطالباً فاشلاً، وانتهت سنوات دراسته القصيرة بفصله من المدرسة وعمل لعدة سنوات على إحدى السفن

التجارية كمساعد طباخ، وفي ١٩٣٧ تزوج وعمل مع والده، في عام ١٩٤١ تغير مجرى حياته تماماً، وأصيب في حادث سقوط كاد يودي بحياته وخرج منه شخصاً آخر ذو قدرات عجيبة.

إصابة شديدة وقدرات عجيبة:

في ١٠ يوليو ١٩٤١ خرج بيتر مع والده لطلاء مبنى مكون من أربعة طوابق وترك له والده الطوابق العليا لأن ارتفاعها يمنع من ظهور عيوب الطلاء فيها، وبقي هو في الأدوار التي تحتاج إلى مهارة لقربها من الأرض، ورغبة في توفير الوقت وضع بيتر السلم بين نافذتين ليتمكن من طلائهما معاً، وفجأة سقط بيتر من الطابق الرابع وارتطم بالأرض.

وجاء في تقرير مستشفى زويد فال الذي نقل إليه بعد الحادث «دخل المستشفى في ١٠ يوليو ١٩٤١ وخرج منه في ٥ أغسطس ١٩٤١، أصيب بارتجاج في المخ مع كل الأعراض المصاحبة»، وغاب بيتر عن الوعي أربعة أيام وعاد إليه وعيه فإذا به فقد الذاكرة، وعندما سئل عن أيام غيبوبته قال إنه لم تكن سوى دقائق معدودة.

وأول مرة ظهرت قدرته على التنبؤ كانت في المستشفى، ففي أول زيارة لزوجته نهرها وطالبها بالعودة إلى المنزل لأنه يحترق وقد عادت زوجته إلى المنزل الذي حدث فيه حريق بالفعل ولكن بعد خمسة أيام، وتكررت القصة مع اختلاف في التفاصيل مع إحدى الممرضات وأحد المرضى في المستشفى واستدعى بيتر الطبيب

وطلب منه حلاً لهذه المشكلة وأخبره أنه يشعر أن عقله لا يخصه وأنه أحياناً ينطق ببعض الكلمات رغم أنفه.

وبطبيعة الحال أصبح هوركوس في نظر من حوله شخصاً شاذاً وربما مجنوناً خاصة وأنه كان يتحدث عن أصوات وصور لا يعرف مصدرها.

وجاء لزيارته عدد من الأطباء بينهم مديرة مستشفى الأمراض العقلية، وأدرك بيتر ما يدور بأذهانهم، فعندما سأله أحدهم ماذا ترى فيَّ وجدها فرصة ليثبت أن ما يعانيه ليس اختلالاً عقلياً، فقال له أعطني شيئاً يتصل بك، فأعطاه قلمه، وهنا مسح بيتر على القلم وقال له أرى عندك بيجاما مخططة تشبه جلود النمور عليها حرفان د، ج، وهنا ظهر أثر الكلام على الطبيب فسكت بيتر وعاد إليه هذا الطبيب بعد انصرافهم فقال له بيتر: لو كنت مجنوناً يا سيدي لذكرت باقي الكلام أمام زملائك فهذه البيجامة مهداة إليك من الممرضة عشيقتك التي أنجبت منها طفلاً. فقال له الطبيب: إننا لا نستطيع تفسير هذه الأشياء التي تراها وتسمعها وعليك أن تتعلم كيف تعيش هكذا.

طريق الشهرة:

خرج بيتر من المستشفى فوجد أحوال أسرته تسير من سيىء لأسوأ وشعر بالحيرة تجاه مستقبله، وذات ليلة دق جرس الباب في الثالثة صباحاً وإذا بسيدة فقدت زوجها ترجو منه أن يساعدها بعد أن فشلت الشرطة في العثور عليه، فطلب شيئاً يخص زوجها وأحضرت

له معطفه فتحسسه ثم أخبرها بمكانه وكان قد سقط في فخ في الغابة عند عودته للمنزل ومات، وبالفعل ذهب البوليس إلى المكان ووجدوه كما وصف بيتر.

ذاعت شهرة بيتر وحاسته السادسة بعد هذه الحادثة وتبعتها نبوءات عديدة أكدت قدرة هذا الرجل على التنبؤ واتسعت دائرة شهرته، فسافر إلى بلجيكا وفرنسا والتقى بالجنرال فرانكو في اسبانيا بناء على دعوة خاصة من الجنرال، واستدعاه بوليس اسكتلنديارد لكشف غموض سرقة حجر سكون الثمين[١] وبعد هذه القضية الهامة قضى حوالي خمس سنوات في خدمة الشرطة الفرنسية ثم عمل مستشاراً لطبيب فرنسي يسعى إلى استنباط مصل جديد لمرض شلل الأطفال، وقد تحدث هذا الطبيب عن مساعدة بيتر هوركس له لمجلة [الباري ماتش] وقرأ هذا الموضوع طبيب أميركي من أصل يوغوسلافي هو الدكتور أندريا بوهاريش وهو حاصل على مؤهل في علم وظائف الأعضاء والطب الباطني كما حصل على مؤهل خاص في الدراسات العصبية وأجرى لسنوات طويلة بحوثاً حول القدرات الخارقة ويعد من أعلام هذا النوع من الدراسات في أميركا.

(١) جوهرة كانت تزين تاج ملوك اسكتلندا واستولى عليها الملك إدوار الأول ونقلها إلى كنيسة ويستمنستر فوضعت أسفل كرسي التتويج وجرى تتويج كل ملوك وملكات بريطانيا منذ ذلك التاريخ في وجودها.

بيتر في آميركا:

في عام ١٩٤٨ أنشأ دكتور بوهاريش معملاً للبحوث أطلق عليه [مؤسسة المائدة المستديرة] وقد تخصصت هذه المؤسسة في إجراء التجارب حول الظواهر الخارقة وقد وجه الدكتور بوهاريش الدعوة لبيتر لزيارة المؤسسة لمدة ستة أشهر وإن كانت قد امتدت إلى أكثر من سنتين.

نجح بيتر هوركس في أربعة من كل خمسة اختبارات أجريت على قدرته على [السيكومتري] أو ما يعرف في الأوساط الشعبية عندنا [بالأتر] كما أجرى عليه بوهاريش دراسة عن عمل عقله أثناء ممارسة هذه القدرة وكانت تجربة شديدة الإثارة.

وُضع بيتر في حجرة تسمى [قفص فاراداي] وهي معزولة بشبكة من الأسلاك يسري خلالها تيار كهربي قوته ٢٥ ألف فولت بحيث لا يسمح بدخول أي موجات كهرومغناطيسية لعزله عن أي عوامل مساعدة من الخارج ورغم استحالة اختراق الموجات الكهرومغناطيسية لهذا العازل الرهيب فإن بيتر نجح وهو داخل القفص في التخاطر مع شخص خارج القفص، وقد ظهرت نتائج هذه التجارب في كتابين للدكتور بوهاريش هما [عش الغراب المقدس] و [ما بعد التخاطر].

ورحل بيتر هوركس وبقيت التجارب المعملية والقصص وعلامات الاستفهام؟؟.

دلالات مثيرة:

كانت تجربة بيتر هوركس حافلة بالدلالات اسي استوقفت العلماء والمهتمين حتى بعد وفاته وقد كانت سيرته الذاتية التي كتبها بنفسه دافعاً لمهتمين من غير معاصريه ليكتبوا عن ظاهرة التنبؤ فيقول الكاتب الأميركي الشهير كولن ويلسون:

إن نقطة البدء في كتابي [العرافة] هي ملاحظة أن القوى النفسية تبدو في كثير من الأحيان وكأنها تنطوي على انهيار أو على الأقل فقدان الكفاءة في قوانا العقلية السوية، وعلى سبيل المثال، سقط عامل هولندي اسمه بيتر درهوك من فوق سلمه وأصيبت جمجمته بكسر، وعندما أفاق في المستشفى اكتشف أنه يعرف كل شيء عن زملائه المرضى، عن ماضيهم بل وعن مستقبلهم أيضاً.

هذه القدرة العجيبة لازمته، وتحت اسم بيتر هوركوس طارت شهرته بوصفه [مكشوف عنه الحجاب] أو يرى ما وراء البصر [متكهن نفسي] وكثيراً ما قام بمساعدة الشرطة في حل قضايا القتل غير أنه في الأيام التي أعقبت الحادث الذي وقع له مباشرة وجد الحياة صعبة لأن قواه النفسية الجديدة جعلت من المستحيل عليه التركيز في الأعمال اليومية العادية، وكان من الممكن أن يتضور جوعاً لولا أن اقترح عليه شخص ما أن يستغل قواه لكسب قوته على المسرح بوصفه ساحراً[1].

---

(١) الزمان عبر التاريخ - مجموعة مؤلفين - عالم المعرفة - الكويت - ١٩٩٢ - ص ٣١٥.

ويضيف الكاتب البريطاني جون تايلور الأستاذ بجامعة كمبردج معلومة هامة توضح شهرة بيتر وقدرته فيقول:

«كان هوركس يقصده ما لا يقل عن خمسة أشخاص يومياً خلال فترة زمنية لابأس بها خلال الحرب العالمية الثانية ليسألوه عن أخبار أقربائهم الذين يحاربون على الجبهة هل قتلوا أم أسروا؟ وكانوا يعطونه صورة للشخص أو شيئاً من ملابسه يحاول من خلالها أن يكتشف مصير صاحبها.

وقد أفاد الكثيرون أن ما كان يخبرهم به اتضحت صحته.[1]

---

(١) عقول المستقبل - جون ج تايلور - عالم المعرفة - ص ٢٠٢، ٢٠٣.

فوسترا داموس

أول ما يتبادر إلى ذهن الشخص العادي عند الحديث عن الكهانة والعرافة وغيرها من أشكال الخروج من الزمن أن هذه سمة من سمات تاريخ أمم الشرق انفردت بها دون غيرها والحقيقة أن هذه الأنشطة لازمت البشر أنى وُجدوا وشغلت المجتمعات كلها تقريباً ولكن بنسب متفاوتة، والمطالع لتراث الحضارة الغربية يجد أسماء من ملوك وفلاسفة وقادة وأدباء ورجال دين أثارتهم الظاهرة بشكل ما وتفاعلوا معها وأحياناً أثرت في حياتهم.

وفي العصور الوسطى ـ عصور سيادة الكنيسة على الحياة في الغرب ـ كانت هذه الظواهر الروحية موضوعاً من موضوعات الفلسفة المسيحية وسنكتفي في هذا السياق بنص للقديس توما الإكويني أشهر فلاسفة المسيحية يتحدث فيه عن التنبؤ يقول:

«لما يكن هذا النمط من المعرفة طبيعياً بالنسبة لذهننا لأنه ـ أي الذهن ـ يتلقى معارفه من الأحاسيس فإن علينا أن ننسب هذه المعارف إلى التأثير الذي تحدثه فينا أسباب عليا جسدية أو روحية وهكذا فإنها تأتي من أسباب روحية حين ينير الله بواسطة الملائكة الذهن البشري ويرتب الصور المحسوسة الموجودة فيه بصورة تجعله يعرف الأشياء

القادمة»[1].

ومن بين من عُرفوا بهذه القدرة يظل لنوستراداموس مكانة عالية، خاصة بعد أن ربط بعض مفسري نبوءاته بينها وبين أحداث هامة خلال السنوات القليلة الماضية على اعتبار أنه تنبأ بها في نبوءاته التي تمتد حتى سنة ٣٧٩٧ حسب زعم المفسرين!! فمن هو؟

حياته:

ولد ميشيل دونوتردام المشهور بنوستراداموس في سان ريمي في ١٤ كانون الأول سنة ١٥٠٣ وكان والده كاتباً وكان له أخ عمل وكيلاً لبرلمان آرل، ويوجد بخصوص حياته كتاب وضعه تلميذه جان إيميدو شافيني، وكان دكتوراً في اللاهوت والحقوق وقاضياً في بون سنة ١٥٤٨ وعنوانه [بحث قصير في حياة ميشال دونوتردام الذي كان يعمل مستشاراً وطبيباً للملوك المسيحيين هنري الثاني وفرنسوا الثاني وشارل التاسع] ومن بين ما جاء في هذا الكتاب:

أنه درس في آفينيون وأكمل دراسته في جامعة مونبيليه حيث درس الفلسفة والطب وحصل على درجة دكتوراه بامتياز في سن السادسة والعشرين ورحل إلى آجن حيث توفيت زوجته وولداه منها فدفعته المحنة إلى دير أورفال البلجيكي ليكتب نبوءاته المشهورة.

ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث اشتهر بسبب الأدوية التي

---

(١) نبوءات نوسترا داموس د/ دوفونبرون ـ دار التوجيه اللبناني ـ ترجمة أسامة الحاج ص ٩٦.

استخدمها لمكافحة وباء رهيب، مثيراً غيرة زملائه ثم اقترن في زواج ثان وأنجب ثلاثة أولاد وثلاث بنات.

ويتحدث شافيني عن أصله فيقول:

كان جداه من جهتي أمه وأبيه بارعين للغاية في الرياضيات والطب وقد اشتغل أحدهما طبيباً لرونيه ملك أورشليم وصقلية كونت بروڤانس، والآخر طبيباً لجان دوق كالابر ابن الملك رونيه.

ظهرت الطبعة الأولى من نبوءات نوستراداموس سنة ١٥٥٥ وأعيد طبعها مرات عديدة في ليون وأمستردام ومنذ الطبعة الأولى جاء نجاحها كبيراً، فعندما سمع بها هنري الثاني استدعى نوستراداموس إلى البلاط سنة ١٥٥٦ وصرفه محملاً بالهدايا وبعد ذلك بقليل زاره شارل التاسع خلال رحلة له وعينه طبيباً له.

وتوفي نوستراداموس بالاستسقاء في ٢/ ٧/ ١٥٦٦ عن ٧٢ سنة كما ورد في شاهد قبره وجرى دفنه تحت مذبح كنيسة، وبعد عام ١٧٨٩ نقل جثمانه إلى كنيسة سان لوران دو سالون.

وفي ٣/ ٢/ ١٦٦٧ يشير صامويل بيبس أن السير كارتيري كان عنده عند احتضاره وأنه حلف الحاضرين ألا يسمحوا بفتح قبره أبداً، وكأنه كان يعرف أن قبره سيفتح بعد ستين عاماً من وفاته[1].

وهذه الرواية توضح تماماً ما خلفه من سيرة تكتنفها الأسرار!!.

---

(١) نبوءات نوسترا داموس - د/ دوفونبرون ص ٤٢ - ٤٥.

نبوءاته:

يمتد الغموض الذي أحاط بسيرة نوسترادامس إلى ما بعد وفاته حيث ظهرت نبوءاته في القرن العشرين على يد طبيب أمراض جلدية شهير كانت له معه قصة طريفة.

كان الطبيب المرموق يستقبل مرضاه عندما دخل عليه مريض لا يعرفه فاجأه بعد الاستشارة وبلا مقدمات: تناهى إلى سمعي حضرة الطبيب أنك رجل متبحر في العلوم وفكرت أن من واجبك الاهتمام بأعمال نوسترادامومس. فأجاب الطبيب: سمعت عن الرجل لكن هذا لا يثير اهتمامي بوجه خاص، وفي الحال أخرج الرجل من جيبه كتاباً صغيراً وأعطاه له وقال: فقط ألقِ نظرة على هذا النص.

أما الرجل فمجهول، وأما الطبيب فهو ماكس بيجار دوغوربير الذي اشتهر فيما بعد باسم الدكتور دو فونبرون، وأما بقية القصة فأكثر طرافة!!

كان الكتاب نسخة عن نبوءات نوسترادامس طبعت في ليون عام ١٦٠٦ بدأ الطبيب في القراءة وتوقف عند النص التالي:

«ستكون ثلاث مناطق بفعل الاختلاف الأقصىٰ للروابط هي بالتحديد رومانيا وجرمانيا وإسبانيا التي ستصنع شيعاً مختلفة بنتيجة الأعمال الحربية».

كان الطبيب يقرأ هذه السطور في عام ١٩٣٤ وكان موسوليني قد استولى على السلطة بالفعل في إيطاليا في عام ١٩٢٢ بعد مسيرة

تهويلية، أما هتلر فقد استولى على السلطة في ألمانيا في عام ١٩٣٤ بعدما صفى المعارضة، وكانت إسبانيا هي الباقية لتحقق النبوءة، وكان في ذلك الوقت الجنرال فرانكو قد بزغ نجمه حتى رقي في سن صغيرة إلى رتبة القائد الأعلى للأركان.

كانت هذه النبوءة هي الحدث الجوهري في علاقة الدكتور دوفونبرون بالكتاب وصاحبه، فأصدر أول طبعة منه في عام ١٩٣٨ وتوقع فيها هزيمة ألمانيا وهو التنبؤ الذي أدى إلى مصادرة الكتاب وسحبه من المكتبات وجرى حرق ألفي نسخة وتذويب حروف المطبعة الخاصة به.

وخلال سنوات الحرب حاولت المخابرات الألمانية اعتقال الدكتور دو فونبرون أكثر من مرة ولكنه أفلت نتيجة اتصالات هاتفية مجهولة كانت تأتيه دائماً قبل القبض عليه بقليل.

نموذج لنبوءاته:

تعتبر النبوءة سالفة الذكر عن صعود الفاشية في إسبانيا وألمانيا وإيطاليا من النماذج الواضحة والتي كان لها أثر على ارتباط اسم نوستراداموس باسم الدكتور دوفونبرون وهناك نبوءة أخرى يتعرض لها دكتور دوفونبرون ويوليها اهتماماً كبيراً، ففي رسالة كتبها المؤلف إلى ولده وسماها رسالة إلى قيصر يقول:

لأن العالم يقترب من ثورة عظيمة، وأنا أكتب هذا قبل ١٧٧ عاماً وثلاثة أشهر و ١١ يوماً.

وهذه النبوءة كتبها في مارس سنة ١٥٥٥ وحسب الفترة التي حددها يكون عام ١٧٣٢ هو عام تحقق النبوءة وقد شهد هذا العام دخول جان جاك روسو إلى باريس حيث أصدر كتاب العقد الاجتماعي، وهي نقطة البدء للثورة الفرنسية التي كانت بداية عهد جديد في تاريخ العالم وخاصة الغرب.

وقد بذل الدكتور دوفونبرون جهداً ضخماً لحل ألغاز النبوءات وأصدر منها عدة طبعات كان آخرها عام ١٩٥٥ ثم توفي الشارح عام ١٩٥٦ في مدينة مونبيليه وفاة مفاجئة في نفس المدينة التي تلقى فيها نوستراداموس دروسه في الطب[١].

(١) نبوءات نوستراداموس ـ ص ٦ ـ ١٢.

الفصل التاسع

تساؤل حائر . . . ومحير ! !

قديماً عرف الإنسان الظواهر الخارقة كظل للمقدس سواء عَبَدَ إلهاً أو آلهة، وكان القادر على إتيان الأفعال الخارقة إما أن له رئي من الجن أو يتمتع بنفس قادرة على الاتصال بالكائنات النارية [الجن والشياطين] ولا نملك للأسف الشديد كتابات موضوعية تحدثنا عن بدء ظهور هذه الطفرة على من عرفوا بها، وما يُروى عن ذلك أقرب للخرافات والقصص الشعبي منه إلى التفسير الموضوعي، فزرقاء اليمامة مثلاً ظهرت عليها أعراض الاستبصار بعد أن كانت تكتحل وتسرب الكحل إلى عينيها في شكل عروق سوداء مختفية تحت أحداقها لم تظهر إلا بعد أن سمل الأعداء عينيها، وكانت هذه العروق تمكنها من رؤية الراكب على مسافة ثلاث ليال؟ ومن هذا القبيل أيضاً ما يروى عن شق وسطيح كاهني اليمن من روايات عجيبة.

على أن هذه الضبابية التي تحيط بأشخاص الكهان والمتنبئين لم تدم خاصة بعد دخول الظاهرة إلى معامل الأبحاث ومحاولة وضعها أو ـ على الأقل بعض مظاهرها ـ موضع التجربة، وساعد على ذلك ظهور شخصيات مثل بيتر هوركس وجين أونيل وغيرهما تعاونوا مع العلماء المهتمين بهذه الظاهرة وتوفرت عن حياتهم وتجربتهم مع

الظواهر الخارقة معلومات صحيحة ويمكن الاعتماد عليها لتكوين تصور دقيق عن بعض جوانب الظاهرة.

والمطلع على ميراث هذه الظاهرة في كتابات المؤرخين والكتاب والفلاسفة يلمح رغبة في تحطيم هذا السياج الذي يحيط بالظاهرة من خلال تجارب وممارسات يدَّعون صلاحيتها لتمكين الإنسان العادي من التنبؤ، فمن ذلك مثلاً ما يرويه ابن خلدون في مقدمته يقول:

«وذكر مسلمة في كتاب الغاية له في مثل ذلك، أن آدمياً إذا جعل في دن مملوء بدهن السمسم ومكث فيه أربعين يوماً يُغذى بالتين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه إلا العروق وشؤون رأسه فيخرج من ذلك الدهن فحين يجف عليه الهواء يجيب عن كل شيء يُسأل عنه من عواقب الأمور العامة والخاصة.

ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة فيحاولون بالمجاهدة موتاً صناعياً بإماتة جميع القوى البدنية ثم محو آثارها التي تلونت بها النفس ثم تغذيتها بالذكر لتزداد قوة ويحصل ذلك بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع أنه إذا نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على المغيبات»[1].

وتعتبر السطور القليلة التي يروي فيها المتنبىء الأوروبي الشهير

---

(١) مقدمة ابن خلدون ـ ص ١٠٩ دار إحياء التراث العربي.

نوسترادامو س كيفية حدوث هذا التحول في حياته من خلال رسالة كتبها إلى ولده وعنونها «إلى ولدي قيصر» يقول: «لقد تناهت إلى يدي عدة مجلدات كانت مخبأة طوال قرون، لكنه لما كنت أشك بما قد ينجم عنها فقد أطعمتها النار بعد أن قرأتها، وفي حين كانت النار تلتهمها كان اللهب يكلم الهواء باعثاً الضياء غريباً وأكثر لمعاناً من اللهب العادي شبيهاً بالضوء الذي يصدر عن وميض هزة أرضية، وقد أنار بيتي فجأة كما لو أن بيتي يتعرض لحريق مباغت»[1].

فرضية كولن ويلسون:

منذ زمن بعيد افترض الباحثون وجود خاصة أو خواص فسيولوجية في الأشخاص القادرين على التنبؤ تختلف عن الأشخاص العاديين وإذا عدنا إلى ما قبل هذه السطور بقليل نجد «تفسيراً خلدونياً» يربط بين التخلص من الجسد والانطلاق في عالم الروح لإدراك الغيب، وقد رصدت التجارب المعملية التي أجريت على المتنبىء الهولندي بيتر هوركس في معامل مؤسسة المائدة المستديرة بالولايات المتحدة الأميركية تحت إشراف دكتور بوهاريش نشاطاً غير عادي للمخ يكاد يكون المظهر الوحيد المحسوس لفسيولوجيا التنبؤ فقد أدخل هوركوس في حجرة تسمى قفص فاراداي وهي عبارة عن وعاء مقفل مصمم بحيث تحجب جدرانه الموجات الكهرومغنطيسية

---

(١) نبوءات نوسترا داموس ـ د/ دوفونبرون ـ ترجمة أسامة الحاج ـ دار التوجيه اللبناني بيروت ـ ص ٩٢.

وذلك عن طريق تغطيته بشبكة من الأسلاك النحاسية الدقيقة يندفع فيها من مولد كهربائي تيار تبلغ قوته ٢٥ ألف فولت.

ويشرح دكتور بوهاريش الغرض من استخدام فراداي في تجاربه فيقول: «إن توليد مجال كهربائي قوي لا يسمح للموجات الأخرى بالنفاذ، وفي حالتنا هذه يكون الهدف هو عزل الشخص صاحب القدرات العقلية الخارقة بقدر الإمكان لمعرفة قدراته الحقيقية دون أن تصله أي مساعدة من مصادر خارجية لا نعرفها.

وقد نجح بيتر في تجارب التخاطر التي أجربت عليه وهو داخل القفص فاستطاع أن يتصل تخاطرياً بشخص خارج القفص رغم مرور الكهرباء بكل قوتها في جدران القفص»[١].

وقد حاول الباحث الأميركي الشهير كولن ويلسون أن يستخلص تفسيراً لظهور قدرة ما من القدرات الخارقة على شخص في مرحلة من حياته مستفيداً في ذلك بنماذج توفرت عنها معلومات صحيحة يمكن الثقة بها والاعتماد عليها.

يقول ويلسون: «حين عنَّ لي أن أوجه انتباهي إلى عالم العرافة أو الظواهر الخارقة للمألوف صدمني أن الشخص الذي يستجيب للمؤثرات الخارقة للطبيعة ما هو إلا نمط من الشاعر، شخص ليس العالم الفيزيائي بالنسبة إليه سوى وجه واحد من الواقع.

---

(١) رجل يعرف كل الأسرار ـ راجي عنايت ـ ص ٤٧ ـ ٤٨.

وقد كنت مفتوناً دائماً بقدرة الأطفال الخارقين للعادة على الحساب وهم في العادة أطفال صغار يتمتعون بذكاء عادي ويستطيعون القيام بعمليات حسابية ذات أرقام هائلة في رؤوسهم، ولا يقل عن ذلك غرابة الفئة المعروفة باسم [العلماء البلهاء] وهم أطفال قد تكون نسبة ذكائهم في مستوى الشخص المأفون[ضعيف العقل ومع ذلك يتمتعون في مجال واحد معين بموهبة عقلية يصعب تصديقها، وبعض هؤلاء [العلماء البلهاء] يتمتعون بقوى نفسية متطورة للغاية، فعلى سبيل المثال رفض صبي أن يقوم مدرسه بتوصيله إلى البيت لأن أمه ـ كما قال ـ سوف تلتقي به خارج المدرسة، والواقع أن أمه وصلت حقاً للقائه ولكنها كانت قد قررت ذلك قبل نصف ساعة فقط حين ساقها مشوار بالقرب من المدرسة.

وهناك حالة لسيدة تدعى جين أونيل شاهدت أثناء قيادتها لسيارتها متجهة صوب مطار لندن حادثة خطيرة وعاونت على تحرير أناس أصيبوا إصابات خطرة من حافلة مهشمة وكانت الصدمة من القسوة بحيث كان لا بد لها من عدة أسابيع تقضيها بعيداً عن العمل وبدأت تعاني أثناء اليقظة رؤى غريبة بعضها كان على درجة عجيبة من الدقة.

إن الحادث الذي وقع لبيتر هوركس شأن الحادث الذي صادف السيدة جين أونيل، هز عقله حتى أخرجه عن مجراه العادي المحدد وجعله يدرك أن «الشعور اليومي» لا يوثق به أساساً في تقريره عن

الواقعية التي تحيط بنا[1].

ترى هل هناك مشابهة بين ما يطرحه كولن ويلسن في نهاية القرن العشرين وبين ما تصوره ابن خلدون في القرن الثامن من علاقة بين الحالة العقلية والجسدية وبين القدرات الخارقة؟ إنه مجرد سؤال؟!.

---

(١) فكرة الزمان عبر التاريخ - كولن ويلسون وآخرين - ترجمة فؤاد كامل - عالم المعرفة عدد ١٠٩ - ص ٣١٥ - ٣١٩.

الفصل العاشر

نبوءات بمولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

أبو سفيان وهرقل:

روى البخاري عن عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام، المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهو بإيلياء ودعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعا ترجمانه فقال:

- أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟
- قال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسباً.
- فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه.
- فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال:
- كيف نسبه فيكم؟
- قلت: هو فينا ذو نسب.
- قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟
- قلت: لا

ـ قال: فهل كان من آبائه من ملك؟

ـ قلت: لا

ـ قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟

فقلت: بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قلت: بل يزيدون

قال: يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

قلت: لا

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا

قال: فهل يغدر

قلت: لا، ونحن في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة.

قال: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قلت: كانت الحرب بيننا سجالاً ينال منا وننال منه.

قال: وماذا يأمركم؟

قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال الترجمان قل له:

* سألت عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.
* وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا، فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي بقول قيل قبله.
* وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، فلو كان من آبائه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه.
* وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ليكذب على الله.
* وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل.
* وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.
* وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.
* وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.
* وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان حقاً فسيملك موضع قدمي. الكلام فإن كان حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم. فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

ويكمل الإمام البخاري هذه النبوءة فيقول:

وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم فرأى ذات ليلة أن نجم الختان قد ظهر فقال: من يختتن في هذه الأمة؟ فقال له بعض بطارقته: ليس يختتن إلا اليهود فلا يهمنك شأنهم واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما استخبره هرقل قال اذهبوا فانظروا المختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن وسأله عن العرب فقال هم يختتنون، فقال هرقل هذا ملك هذه الأمة قد ظهر[1].

نبوءة كسرى:

كان لكسرى ثلاثمائة وستون رجلاً من الحزأة ما بين كاهن ومنجم وساحر وكان فيهم رجل من العرب يسمى السائب وكان إذا أحزنه أمر جمعهم فقال انظروا في هذا الأمر ما هو، فلما أرسل الله محمداً صلى الله عليه واله وسلم أصبح وقد انفصل طاق ملكه [الإيوان] وانخرق سد قد بناه على دجلة فدعا الكهّان والمنجمين وفيهم السائب فنظروا في أمره فأخذت عليهم أقطار السماء وأظلمت الأرض فلم يمض لهم ما راموه وبات السائب على ربوة من الأرض ينظر فرأى برقاً من قبل الحجاز استطار فبلغ المشرق فلما أصبح رأى

---

(1) فتح الباري - كتاب بدء الوحي - حديث رقم ٧ - ص ٤٢ - ٤٤ جـ ٤ - طبعة السلفية.

تحت قدميه روضة خضراء، فقال: إن صدق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخصب عليه الأرض كأفضل ما أخصبت على ملك.

فلما تشاور الكهان فيما بينهم قال بعضهم لبعض والله ما حال بينكم وبين علمكم إلا أمر جاء من السماء وإنه لنبي بُعث يسلب هذا الملك، ولئن نعيتم لكسرى ملكه ليقتلنكم، فاتفقوا على كتمان الأمر، وأخبروه أن الجسر وإيوان الملك قد بنيا على وضع النحوس وحسبوا له وضعاً آخر لبنائه فانهار مرة أخرى فقتل منهم نحو المائة وقال لهم أقربكم وأجري عليكم الأرزاق وتلعبون بي؟ فكرروا الحساب مرة أخرى فانهار فلما همَّ بقتلهم جميعاً فأفضوا إليه بالأمر فقال ويحكم، هلا بينتم لي فأرى رأيي؟[1].

نبوءة يمنية:

كان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين ملوك التبابعة ورأى رؤيا هالته وفظع بها فلم يدع كاهناً ولا منجماً ولا ساحراً ولا عائفاً من أهل مملكته إلا دعاه ثم جمعهم فقال لهم: إني رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها فأخبروني بها وبتأويلها. فقالوا: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها فقال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم بتأويلها لأنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى شق وسطيح فإنه ليس أحد أعلم منهما

(١) الكامل ـ ابن الأثير ـ ١/ ٢٨٤ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

فهما يخبرانه بما سأل عنه، فبعث إليهما فقدم إليه سطيح قبل شق فقال له: إني رأيت رؤيا هالتني فظعت بها فأخبرني بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها، فقال: أفعل، رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة.

فقال الملك: ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح فما عندك في تأويلها؟

فقال: أحلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين أبين إلى جرش.

فقال له الملك يا سطيح: إن هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفي زماني أو بعده؟

فقال: لا وأبيك بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين من السنين ثم يقتلون فيها ويخرجون منها هاربين.

قال: ومن يلي ذلك من إخراجهم وقتلهم؟

قال: يليهم إرم ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك منهم أحداً باليمن.

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟

قال: بل ينقطع

قال: ومن يقطعه؟

قال: نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي.

قال: وممن هذا النبي؟

قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون في

قوم إلى آخر الدهر.

قال: فهل للدهر من آخر؟

قال: نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون.

قال: أحق ما تخبرني؟

قال: نعم، والشفق والغسق والفلق إذا اتسق إن ما أنبأتك به لحق.

ثم قدم عليه شق فكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان، قال نعم رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة.

فقال له الملك: ما أخطأت يا شق منها شيئاً فما عندك في تأويلها؟

فقال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان فليملكن ما بين أبين إلى نجران فقال له الملك: وأبيك يا شق إن هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفي زماني أم بعده؟

قال: لا بل بعده وبزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن ويذيقهم الهوان.

قال: ومن هذا العظيم الشأن.

قال: غلام ليس بدنيّ ولا مدن يخرج عليهم من بيت ذي يزن.

قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟

قال: بل ينقطع برسول مرسل بالحق والعدل من أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل.

قال: وما يوم الفصل؟

قال: يوم تجزي فيه الولاة يدعى فيه من السماء بدعوات تسمع منها الأحياء والأموات ويجمع الناس فيه للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات.

قال: أحق ما تخبرني؟

قال: إي ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض إن ما أنبأتك به لحق فيه من أمض[1].

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ دار الفكر العربي ـ ١/ ١٦٢، ١٦٣ وأوردها ابن هشام في سيرته ص ١٦ ـ ١٩ جـ ١ ـ طبعة المكتبة التوفيقية.

الفصل الحادي عشر

نبوءات أندلسية

الرسول ﷺ يبشر طارق بن زياد:

كان البحر دائماً هو أخوف ما يخوف العرب في غزواتهم وقد وصفه أحد القادة المسلمين لعمر بن الخطاب فقال له: خلق كبير عليه خلق صغير وهم فيه كدود على عود، فقال عمر رضي الله عنه: والله لا أركبت فيه مسلماً أبداً!!

وقد حدث في عهد عمر بن الخطاب أن تسرّع أحد قواده في إرسال سرية من المسلمين بطريق البحر دون أن يستأذنه أو حتى يخبره، فعاقبه عمر، وقد ظل البحر حتى بعد تكوين المسلمين لأسطول حربي وبعد خوضهم معارك حربية في عرض البحر ظل هاجساً يبعث على الخوف، وفي عهد الوليد بن عبد الملك أرسل موسى بن نصير فاتح المغرب وشمال إفريقية أفضل قواده طارق بن زياد لفتح الأندلس مجتازاً البحر المتوسط، ورغم أن البحر في هذه المنطقة أقرب إلى الخليج الصغير منه إلى البحر إلا أن شيئاً من الخوف كان يخامر الفاتحين، ويروي المؤرخ الشهير المقري في كتابه [نفح الطيب] أن طارق بن زياد صادف عجوزاً من أهل الأندلس

فقالت له فيما قالت: إنه كان لها زوج عالم بالحدثان [متنبىء] فكان يحدث عن أمير يدخل إلى بلدهم ويغلب عليه ويصف من نعته أنه ضخم الهامة وفي كتفه الأيسر شامة عليها شعر فكشف عن ثوبه فإذا بالشامة في كتفه.

وذكر طارق أنه كان نائماً في المركب فرأى في منامه الرسول ﷺ وحوله الصحابة قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي وقال له ﷺ: يا طارق تقدم لشأنك، ونظر إليه وإلى أصحابه قد دخلوا الأندلس أمامه فهب من نومه مستبشراً وبشّر أصحابه وقويت نفسه فلم يشك في الظفر[1].

ولعل هذا هو الذي يفسر انتصار جيش مؤلف من سبعة آلاف جندي ـ زادوا إلى اثني عشر ألفاً بالإمدادات ـ على جيش يتجاوز عدده مائة ألف جندي.

وزير له هاتف!!:

في عصر الطوائف تمزقت الأندلس إلى ولايات متباغضة متحاربة، وكان دور الوزراء في هذا العصر كبيراً وتأثيرهم عظيماً لأسباب عديدة منها أن بعضهم كان يتولى الوزارة لأكثر من مرة مما يزيد خبرته ونفوذه، كما كانوا هدفاً لمحاولات الاستمالة من جانب بعض الأمراء الطامعين في أن تصير الولاية لهم على حساب بعض إخوتهم وغير ذلك من أشكال التآمر السياسي التي تطفو على السطح

---

(١) نفح الطيب ـ للمقري ـ طبعة دار المأمون ـ جـ ٢ ـ ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

في فترات التمزق والانقسام، وقد كان من أشهر وزراء عصر الطوائف ثلاثة تفاقمت بينهم العداوات لدرجة توريط أمرائهم في حروب لا هدف لها سوى الانتقام من بعضهم، كان هؤلاء الثلاثة [صموئيل] إسماعيل، وابن بقية، وابن عباس.

كان ابن عباس مغروراً لدرجة لا تحتمل وكان دائم التعالي حتى على أضرابه من وزراء الأندلس بل وأمرائهم وانتهى به الأمر مقتولاً على يد أحد الأمراء هو أمير المرية، وما إن جاء الخبر إلى غرناطة حيث الوزير إسماعيل حتى رأى حلماً غريباً له قصة طريفة.

يقول المؤرخ الأوروبي العلامة دوزي «إن هذا الوزير كان له هاتف خفي يعتاده في الحلم، واليهود في ذلك كالعرب يتوهمون أن سراً من الأسرار يلهمهم وهم في نومهم بنبوءات عن المستقبل، وقد عاده الهاتف في الحلم وردد ثلاثة أبيات من الشعر بالعبرية معناها:

لقد هلك ابن عباس وشيعته الملتفون حوله وهذا الوزير الذي كان يظاهره، [ابن بقية] يوشك أن يقتل ويداس، لقد دارت الدائرة على أحدهما وعما قليل يلحقه الآخر».

ويكمل دوزي:

«وبعد بضع سنين تحققت نبوءة إسماعيل، وصح الآن أن الشعور بالخوف أو الحب يجعل في الشخص سراً غريباً يدرك به بعض الأمور الغيبية»[1].

---

(١) ملوك الطوائف ـ دوزي ـ ترجمة كامل كيلاني ـ عيسى البابي الحلبي ـ جـ ١ـ سنة=

بمن ستحل النكبة؟ :

من أشهر ملوك عصر الطوائف أبو عمرو بن عباد الملقب بالمعتضد والذي تولى حكم إشبيلية عام ٤٣٩ هـ وكان بعض المنجمين قد تنبأ له بأن جيلاً من الناس سيولد خارج مملكته يكون على يده انتزاعها من بني عباد وقد أورثت هذه النبوءة المعتضد حساسية شديدة تجاه أعدائه وكانت هذه الظنون تذهب به كل مذهب، ورغم أن فكرته كانت دائماً تتجه إلى أن هؤلاء هم البرازلة من البربر المقيمون بجواره إلا أنه كان دائم المطاردة لأعدائه مهما كان شأنهم حقيراً فَيُروى في ذلك أنه صادر أموال رجل من رعاياه وفر الرجل مرتحلاً حتى وصل إلى الحجاز وأقام هناك هارباً من ظلم المعتضد إلا أنه أرسل إليه كيساً من الدراهم المسمومة التي تسرب سمها إلى يديه وقتله، واحتال حتى قتل مؤذناً فرّ من إشبيلية إلى إمارة مجاورة وكان يدعو عليه في صلاة الفجر[1].

ويصف المؤرخ العلامة دوزي أثر هذه النبوءة على حياته فيقول:

وفي آخر سني حياته امتلأت رأسه بالمخاوف والأفكار السوداء بسبب نبوءة بعض الناظرين في ميلاده من المنجمين فما زال بالبرازلة البربر حتى أفناهم جميعاً وظن بذلك أنه فرّ من هذا الحلم المرعب،

= ١٩٣٣ ـ ص ٦٤.

(١) ملوك الطوائف ـ دوزي ـ ص ١١٨.

ولكنه بدأ يرى نفسه مخدوعاً بعد عبور طائفة من البربر في إفريقيا إلى الأندلس بسرعة غريبة وهم المرابطون.

وقد ورد عليه كتاب من صاحب سبتة يقول فيه: ـ «إن طلائع المرابطين عسكرت في مراكش» فاهتم لهذا النبأ حتى قال له أحد وزرائه: «كيف يزعجك ذلك يا مولاي وبيننا وبينهم البحر واليابس» فقال بصوت حزين «إني على يقين من أنهم سيصلون إلينا يوماً ما وربما تشهد بنفسك هول ذلك اليوم» ثم نظر إلى بنيه وصوّب نظره فيهم وقال: «ليت شعري، من منا ستحل به النكبة أنتم أم أنا؟» فقال له ولده المعتمد: «لا بل أنا، جعلني الله فدائك، الذي أحمل عنك كل كائنة»[1].

ومرت السنوات الطويلة بعد موت المعتضد وتحققت النبوءة في عهد المعتمد الذي وقع أسيراً في يد المرابطين؟ وهكذا حمل الوالد قلقها وتجرع الابن مرارتها.

يشتري عدوه ليقتله!!

من الأقوال المأثورة التي علقت بذهني منذ فترة طويلة وإلى الآن الحكمة العربية التي تقول: «ثلاثة لا يأمنهن إلا الأحمق: ائتمان النساء على الأسرار، وشرب السم للتجربة، ومصاحبة الملوك»، وصفحات التاريخ مليئة بالحمقى الذين راحوا ضحية هذه الصداقة المميتة التي خدرتهم وجعلتهم يجدون الأمن في أحضان الأفاعي.

---

(١) نفس المصدر ص ١٨١ ـ ١٨٢.

وقد شهد تاريخ الأندلس علاقة شهيرة، من هذا النوع القاتل كان أحد طرفيها المعتمد بن عباد والطرف الآخر هو الشاعر الأندلسي محمد بن عمار، وقد كان ابن عمار مغموراً نال شهرة بالشعر كما نال مالاً، فرحل يمدح كل من يدفع له حتى دخل بلاط المعتضد ومدحه بقصيدة من عيون الأدب الأندلسي، ووجد الشاعر في بلاط المعتضد أميراً شاباً تعلق كل منهما بالآخر أيما تعلق وكان هذا الأمير هو ولي العهد وقد بلغ من تأثير هذا الشاعر على الأمير الشاب حداً لا يتصور مما دفع الملك المعتضد إلى نفيه.

وما إن مات المعتضد وتولى المعتمد حتى استدعى خليله ابن عمار وعادت العلاقة بينهما كأقوى ما تكون، وطلب الشاعر من أميره أن يوليه حكم مدينته الصغيرة التي ولد فيها وأجابه الأمير في الحال، ورغم بعد الشاعر عن عاصمة الحكم إلا أن الأمير كان يستدعيه باستمرار ليقضيا معاً ليالي سمر يتشاطران فيها الخمر والشعر والمشاعر الحميمة.

وفي الليلة الموعودة سهر النديمان حتى لعبت بهما الخمر تماماً وألح الأمير على صديقه أن ينام معه على فراشه فنام مكرهاً، وما إن نام ابن عمار حتى سمع هاتفاً يقول له: «أيها التعس إن هذا الذي تنام معه على فراش واحد لا محالة قاتلك» فهب من نومه فزعاً وقاوم هذا النذير وعزاه إلى تأثير الخمر ونام مرة أخرى فعاوده النذير مرة ثانية وثالثة فهب من نومه فزعاً وتسلل من المخدع الملكي خارجاً وفي نيته الهرب، كانت أبواب القصر مغلقة ولا سبيل إلى الخروج فأدرج نفسه

في حصير ونام في دهليز أمام أحد أبواب القصر منتظراً طلوع الصباح حتى يهرب.

وبلغ الرعب مبلغه فقرر أن يعبر البحر ليقيم في إفريقية حتى يموت، واستيقظ المعتمد فأيقظ الحرس والخدم وخرج بنفسه للبحث عن ابن عمار، ووقف أمام الحصيرة التي يختبىء فيها وعندئذ تحرك الرجل حركة لا إرادية لمحها المعتمد فأمر الحرس بفتحها وخرج منها ابن عمار يبكي ويرتجف خوفاً.

استولت الدهشة على المعتمد وأخذ في تهدئة روعه حتى يعلم منه سر هذا التصرف الغريب، وبعد أن هدأ الرجل روى للمعتمد قصة الحلم الذي رآه فطمأنه المعتمد ونفى الخاطر عنه وقال له: «ثق أني إن أقتلك فإنما أقتل نفسي».

ومرت السنوات وبدأ ابن عمار يثق ثقة زائدة بنفسه لدرجة الاستهانة بالمعتمد وتمزق ما كان بينهما حتى ضاقت إشبيلية بابن عمار وخرج ليعمل وزيراً لأمير آخر ثم ثالث وبلغت الجفوة بينه وبين المعتمد حداً جعله يهجوه بقصيدة، وما إن علم المعتمد بذلك حتى قرر الانتقام من ابن عمار.

وخرج ابن عمار في حملة عسكرية تحت لواء أحد أمراء الأندلس وهزم هزيمة منكرة، وكم كان ابن عمار مؤرقاً بهذه النبوءة رغم خروجه من إشبيلية، وكان نصيبه في هذه المعركة أن يقع في أسر

أعدائه الذين باعوه للمعتمد لينتقم منه، وما إن ظفر به المعتمد حتى قتله بنفسه غير عابىء ببكائه واستجدائه[1].

وتحققت النبوءة بعد سنوات وبمنتهى القسوة!!

(١) ملوك الطوائف، دوزي، ص ١٩١ ـ ١٩٢ وكذلك ص ٢٦٥.

الفصل الثاني عشر

نبوءات من الشرق، والغرب

نبوءة [نفرروهو]:

عثر الأستاذ جولنيشف على بردية هي الآن بمتحف لينجراد وتحتوي على نبوءات كاهن مرتل اسمه [نفرروهو] وتبتدىء البردية بمنظر مألوف في كل عصور التاريخ الفرعوني حتى في النقوش الرسمية، ويصور مقدمة للموضوع: الملك جالس مع حاشيته يتشاور في أمر أو يستمع إلى حكاية أو كما نجد في هذه البردية، الملك لحب استطلاعه أمور الغيب تتوق نفسه لسماع شيء لم يكن يعرفه.

تقول البردية:

«اتفق في عهد جلالة الملك سنفرو وهو الملك المحسن في كل هذه الأرض أن موظفي القصر دخلوا عليه يوماً ليقدموا له التحية فقال لهم ابحثوا عن ابن من أبنائكم أو أخ من إخوانكم يجيد الفهم بارعٍ يتحدث إليَّ بكلمات جميلة أجد فيها تسلية».

رشحت له حاشيته نفرروهو فاستدعي من المعبد الذي يعمل فيه على بعد ٩٠ كيلو متراً من العاصمة وأدخل عليه، وبعد أداء التحية قال له الملك: حدثني بما يسليني، فقال له [نفرروهو]: هل أحدثك

عما حدث أم عما سيحدث؟ قال الملك سنفرو: بل عما سيحدث.

فأخذ نفروهو هو يصف للملك ما سيحدث لمصر في المستقبل وقال له إن مصر ستتعرض للخراب والدمار حين يأتي الآسيويون ويعذبون الفلاحين ويسلبون ماشيتهم، عندئذ ستصبح البلاد خراباً فلا تجد من يهتم بها ولا من يبكي عليها ونيل مصر يصبح جافاً يخوضه الإنسان على قدميه تلك هي حال البلاد عندما تصبح مغزوة تتألم.

وسيأتي ملك من الجنوب، وهو ابن امرأة نوبية الأصل ويولد في الوجه القبلي، وسيلبس هذا الملك التاج الأبيض والتاج الأحمر، ويوحد البلاد وينشر السلام ويحبه الناس، واسم هذه الملك [أميني].

وقد تحققت هذه النبوءة بعد هذا العصر بثلاثة أجيال كاملة على يد الملك [أمنمحات] المولود في جنوب مصر لأم نوبية، وقد عرف اختصاراً باسم [أميني](١).

فيل في رحم الملكة:

يروى أن الملكة مايا ملكة الهند ووالدة بوذا مؤسس الديانة البوذية استيقظت صباح يوم أحد الأعياد فاستحمت بماء العطر ثم وزعت أربعمائة ألف قطعة نقود على الفقراء وتزينت وأكلت أطيب الطعام ثم دخلت مخدعها الملكي ونامت فرأت هذا الحلم:

---

(١) مصر القديمة ـ سليم حسن ـ جـ ٣ دار الكتب المصرية.

رأت أربعة ملوك عظماء يرفعونها في سريرها ويأخذونها إلى جبال الهملايا ويضعونها على هضبة. ثم رأت ملكات هؤلاء الملوك الأربعة يأخذنها إلى بحيرة ويغمسنها في الماء ويلبسنها أردية جميلة ويعطرنها بعطور مقدسة، وبالقرب منها رأت جبلاً من فضة وعليه قصر من ذهب وهناك أعددن لها سريراً فخماً رأسه إلى الشرق وأرقدنها عليه.

وتتابع الملكة رواية حلمها فتقول: ثم جاء فيل أبيض جميل هبط من على جبل الفضة وفي جعبته التي تشبه جبلاً من الفضة كان يحمل زهور اللوتس البيضاء، ونُفخ في بوق فدخل الفيل قصر الذهب ودار حول سريري ثم ضرب جنبي الأيمن ودخل رحمي.

وروت الملكة حلمها للملك فاستدعى المعبرين وسألهم عن هذا الحلم فقالوا إن الملكة قد حملت ذكراً فإن سكن ذلك البيت يصبح ملكاً وإلا فإنه سيخرج ليسود الدنيا بأسرها ويرفع غشاوة الجهل عن أعين الناس[1].

وتأكدت النبوءة بحلم رآه الملك نفسه إذ رأى ابنه الأمير الجميل يترك القصر في ليلة ويخرج تاركاً الملك ليهيم على وجهه كاهناً في ملابس حمراء، وكبر بوذا وتزوج وأنجب وذات ليلة رأت زوجته [جوبا] في منامها الأمير ينام في جوارها ثم رأت زلزالاً يهز الأرض ورياحاً تقتلع الأشجار ثم رأت سرير الأمير الذي ينام فوقه

(١) قصة الحضارة ـ ترجمة زكي نجيب محمود ـ جـ ٣ ص ٦٤ ـ ٦٦.

وقد تحطم إلى شظايا ثم حملت مياه كثيرة الأمير إلى السماء[١].

وتحققت النبوءات وترك الأمير بوذا القصر ليؤسس البوذية.

حلم في لوحة فرعونية:

كان الأمير تحتمس أثناء حكم الملكة حتشبسوت في رحلة صيد في صحراء الجيزة خارج مدينة منف العاصمة الفرعونية الشهيرة، وأدركه التعب فنزل عن حصانه ونام بين ذراعي أبي الهول فرأى في منامه إلهاً من آلهة الفراعنة هو [حورماخو] يبشره بالحكم وبأنه سيصبح من فراعنة مصر، وتحققت النبوءة وتولى تحتمس حكم مصر ليصبح أحد أشهر فراعنتها.

وقد أقام لوحة بين أقدام أبي الهول يحكي فيها حلمه[٢].

لماذا وافق الوزير؟:

كان الأمير الفارسي زيركس يفكر في غزو بلاد الإغريق فاستشار المقربين الذين نصحوه بالعدول عن ذلك. وكان ممن ينصحه بذلك وزيره الأكبر أرتاباتوس، واستجاب الامبراطور لنصائحهم وعدل عن الفكرة، ثم رأى في منامه رجلاً طويلاً نبيلاً يقف بجوار سريره ويلومه على العدول عن الغزو وينصحه باستئناف حملته، وقص الملك على وزيره الحلم فأصر الوزير على رأيه.

---

(١) العلم وتفسير الأحلام - د. عبد الرحمن نور الدين - دار الهلال - ص ١٦.
(٢) العلم وتفسير الأحلام - ص ٢٠ - ٢١.

ولأن إحساس الملك بالحلم لم يكن عادياً، فقد طلب من الوزير أن ينام في فراشه ليتأكد من هذه الرؤية وبعد تردد نام الوزير وجاء الرجل الطويل النبيل للوزير في حلمه ولكنه لم يوبخه أو يوجه له اللوم وإنما لطمه على وجهه مؤدباً ومهدداً.

وقام الوزير مذعوراً ووافق في الحال على الغزو الذي تم بسهولة.

تانو تأمون واللوحة المسماة الحلم:

من محفوظات المتحف المصري لوحة من الجرانيت الرمادي مقاسها ١٣٢ × ٧٢ سم وتسمى لوحة الحلم، وقد نشر متنها أكثر من مرة أدقها ما نشره الألماني شيفر، ويرجع تاريخ هذه اللوحة إلى العصر الكوشي عندما كان الوجه القبلي يحكمه أمراء تعينهم آشور، وبالتحديد في عهد [تانو تأمون] الذي حكم قبل بدء عصر الأسرة الخامسة والعشرين التي تبدأ بحكم الملك بسميتك الأول.

تقول اللوحة:

إن الملك [تانو تأمون] في السنة التي توج فيها ملكاً رأى في منامه ثعبانين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاستيقظ مرتاعاً ولكنه لم يجدهما، واستدعى الملك الكهّان وروى لهم الحلم مستفسراً عن تأويله فقالوا له: إن أرض الجنوب ستكون لك وستستولي على أرض الشمال وتملك الأرض طولاً وعرضاً ولا يقاسمك فيها أحد.

ودخل الملك بتأثير هذه النبوءة عليه في حروب طويلة ليحقق نبوءته بعد حروب راح فيها ـ حسب نص اللوحة ـ في مدينة منف وحدها عدد من أعدائه يجل عن الحصر.

وتوج الملك على جثث الضحايا[1]!!

كريسيوس، نبوءات أم لعنات؟:

كريسيوس ملك إغريقي تعرفت إليه على صفحات تاريخ هيرودت فوجدت كل الخطوات الهامة في حياته تحركها رؤى منامية أو نصائح متنبئين وكلها نذر شر وقعت كما رآها أو حذر منها، وأول النبوءات التي أصابته كانت نبوءة رآها بنفسه في حلم:

كان كريسيوس ملكاً إغريقياً له ولدان أحدهما مريض أخرس والآخر متفوق في كل شيء وكان أبوه يعده ليكون ساعده الأيمن في مواجهة أعباء الحكم الثقيلة ثم ليكون خليفة بعد موته، وبعد أن بلغ ابنه أشده رأى في منامه أن ابنه هذا يُقتل بسلاح حديدي، وكانت الرؤيا واضحة عالقة بذاكرته مما جعله يتوجس من تحققها.

أخفى الملك أمر الرؤيا وقرر أن يزوج ابنه ليسهل له إبعاده عن أي مجال يكون فيه سلاح وحرب أملاً في إبعاد شبح النبوءة عنه، وبعد قليل جاءت الرسل من أطراف المملكة بظهور خنازير برية متوحشة تهلك الزرع وتهاجم البشر وتعالت الصيحات يحملها البريد

---

(١) مصر القديمة ـ سليم حسن ـ ١١/ ٢٧٠ ـ ٢٧٦.

إلى الملك تطلب منه النجدة.

جهز الملك قوة صغيرة لحل هذه المشكلة وطلب إلى قائدها تكتم الأمر عن الأمير الشاب متعللاً بأنه تزوج منذ عهد قريب ولا يريد أن يثقل كاهله بمهمة من هذا النوع في ذلك الوقت، ولكن الخبر تسرب إلى الأمير الذي ثار وغضب لأن أباه ينظر إليه باستهانة ويعتبره جباناً لا يصلح لمهام عنيفة، وأمام ثورة الابن اضطر كريسيوس إلى أن يروي له قصة الحلم.

فقال له الفتى: لقد رأيت موتي بقطعة من حديد ولو رأيت أنني أموت بناب وحش أو مخلب خنزير لكان خوفك مفهوماً وألح على أبيه حتى أقنعه برأيه، فقال له كريسيوس: يا بني إن تفسيرك للحلم لأصح من تفسيري وقد عدلت عن رأيي وأذنت لك في الذهاب.

ووصلت الحملة الصغيرة إلى مكانها وحاصرت الخنازير وبدأت في رشقها بالسهام الحديدية، وأصيب الأمير بسهم طائش أودى بحياته كما رأى كريسيوس في منامه.

وبدأ الملك بعد مدة في التغلب على حزنه وبدأ في محاولة علاج ابنه المريض بكل وسيلة وأرسل إلى المتنبئين يستطلع مستقبله فأخبره أحدهم أن ابنه سيشفى من الخرس ولكنه حين ينطق فإن ذلك سيكون نذير شؤم إذ سيُقتل أبوه في نفس اليوم.

بدأ كريسيوس يستطلع المنجمين والكهّانة قبل كل خطوة وفكر في غزو فارس فأرسل إلى كاهنة [دلڤي] فأخبرته أن هذا الغزو سيسفر

عن تحطم مملكة دون أن تحدد صاحب هذا المصير الفاجع وخرج كريسيوس لغزو فارس وهو يحمل في داخله رعباً من النبوءتين، وبعد عدة جولات هزم هزيمة ثقيلة حتى كاد يقتل، عندما رآه ابنه الأخرس تمكن من النطق فعرف كريسيوس أن نهايته قد حلت وأنه كان المقصود من نبوءة الكاهنة[1].

وهكذا أصبحت النبوءات في حياة هذا الملك كاللعنات!!

لويس الثالث عشر يتنبأ:

في بداية عام ١٦٤٣ كانت فرنسا مهددة بالغزو، وكان لويس الثالث عشر يصارع مرضاً عضالاً ما لبث أن تُوفي بنتيجته، وقد حدثت حادثة طريفة حوالي الساعة العاشرة ليلاً في العاشر من مايو بالضبط، فقد فتح لويس الثالث عشر عينيه وهو الذي كان في النزع الأخير ويعاني من حمى شديدة، ولاحظ عند مخدته أمير كوندي يتقدم، ومع أن الملك كان منهاراً ويتنفس بصعوبة كلمه بهذه اللغة الخارقة قائلاً: «كنت أحلم أن ابنك دوق آنغميين اشتبك مع الأعداء، كانت المعركة قاسية جدّاً ومحتدمة وقد تأرجح النصر طويلاً لكنه بقي معقوداً لجماعتنا الذين ظلوا أسياداً في ساحة المعركة».

ومات الملك في الغد بعد أن تلفظ بهذه النبوءة التي لم تلاقِ في البداية غير عديمي التصديق خاصة وأن الطفل الذي تنبأ له بهذا

---

(١) تاريخ هيرودوت ـ مرجع سابق حـ ١ ـ ص ٢٥ وما بعدها.

المستقبل كان من الهوغونوت [البروتستانت] حيث كانت فرنسا كاثوليكية تعتبرهم ضالين.

ولم تمر أيام حتى اشتعلت المعارك بين فرنسا وإسبانيا وبعد سنوات وعندما بلغ هذا الجنرال اليافع سن الثالثة والعشرين استطاع إسقاط سلاح المشاة الإسباني الذي قال عنه المؤرخون: إنه الأكثر جسارة والأشد حمية ـ وأصبح هذا الجنرال الشجاع فيما بعد لويس الرابع عشر[١].

حامل الكفن أنقذ اللورد:

من بين تجارب الخروج من الزمن والإبحار في المستقبل تحتفظ بعض الحالات بمصداقية خاصة تنبع من مكانة أصحابها حيث يستبعد عليهم إلى حد كبير أن ينساقوا وراء الخيالات أو شهوة التهويل التي عادة ما تصاحب رواية هذه التجارب عند العامة، ومن هذه التجارب ما حدث للورد دوفرين السفير البريطاني في باريس، فهذا الرجل عمل كحاكم عام لكندا ونائباً للملك في الهند وسفيراً لبلاده في روما وموسكو، وكان طوال حياته ينكر بشدة كل ما يتصل بما وراء الطبيعة حتى صيف ١٨٨٨.

في صيف هذا العام قبل اللورد دعوة صديق له للنزول عليه في قصره بريف إيرلندا، وفي مساء ١٤ يونيو ذهب إلى فراشه فمنعه الأرق من النوم، فلم ينل إلا إغفاءة قصيرة عند منتصف الليل واستيقظ فجأة

---

(١) نبوءات نوسترا داموس ـ ص ١٠٠ ـ ١٠١.

ليجد تغييراً طرأ على جو الغرفة وكأنه مشحون بالكهرباء.

سمع اللورد صوت أنين يأتي من شرفة الغرفة ودفعه الفضول إلى الخروج ليعرف مصدر الصوت وخرج يسير في ضوء القمر حيث ظهر له من بين الأشجار رجل يترنح في سيره تحت وطأة زي يشبه الكفن وتحرك ناحية الرجل يسأله عما يحمله وإزاء هذه الجرأة من اللورد رفع الرجل رأسه من تحت الزي الذي يلفه ليرى اللورد وجهاً قبيحاً إلى أبعد حد ثم اختفى الرجل دون أن يتحرك خطوة واحدة، ودون أن يترك أي أثر لأقدامه على الحشائش المبتلة.

سجل لورد دوفرين الواقعة في مفكرته اليومية واستفسر من مضيفه عن الأمر فلم يجد إجابة، وتلاشت تفاصيل الحادثة من ذاكرة الرجل وبقي الوجه الكريه محفوراً في ذاكرته بكل حدة.

في عام ١٨٩٨ وبعد عشر سنوات كان اللورد يحضر حفلاً لرجال السلك الدبلوماسي في فندق جراند أوتيل ووقف جمع من السفراء بينهم اللورد أمام باب المصعد لحضور الحفل وما أن فُتح باب المصعد حتى تجمد اللورد في مكانه وظهر عليه الاضطراب واعتذر عن ركوب المصعد واستند على سكرتيره الذي أجلسه على مقعد قريب وكان السبب الذي أصابه بهذا الاضطراب هو عامل الأسانسير الذي كان نفس الرجل ذو الوجه القبيح الذي رآه منذ عشر سنوات.

تجاوز اللورد دهشته واضطرابه، وتوجه إلى مدير الفندق مصراً

على معرفة هوية عامل الأسانسير، وقبل أن يجيب مدير الفندق عن تساؤل اللورد سمع صوت ارتطام رهيب لم يكن إلا صوت سقوط المصعد من الدور الخامس ليودي بحياة ١٢ شخصاً بينهم عامل المصعد الذي تبين فيما بعد أنه لم يكن من عمال الفندق. وكان اللورد دوفرين واثقاً أنه رأى شبح هذا الرجل منذ عشر سنوات وهو لم يزل حياً(١)!!!

لورد آخر ونبوءة هندية:

في ٤ يونيو ١٩١٦ كان اللورد كتشنر وزير الحربية البريطاني سيبحر في اليوم التالي إلى روسيا على ظهر الطراد هامبشير لإجراء بعض المشاورات السياسية، وكان اللورد قد تنبأ له فقير هندي بالموت بشكل مزدوج بالماء والنار وكانت سنوات إقامة كتشنر الطويلة بالشرق قد أكسبته إحساساً غامضاً بضربات القدر وكان دائم القول «أنا أكره البحر»، والمثير أن الملكة الكسندرا أرملة الملك إدوارد السابع ووالدة الملك جورج الخامس قد تنبأت بنهاية اللورد في هذه الرحلة.

كانت الظروف غير ملائمة على الإطلاق لإتمام الرحلة فالغواصات الألمانية تسعى بغزارة في بحر الشمال بل وشوهدت الغواصات الألمانية تحوم في المنطقة قبل ساعات ولم تكن الظروف الجوية تمت بصلة للطقس الصيفي بل ووصل سوءه إلى حد

---

(١) ٣٠ ظاهرة خارقة حيرت العلماء - راجي عنايت - ص ٤٠ - ٤٤.

العواصف، ورغم كل هذه الاعتبارات أصر اللورد على القيام برحلته.

وبعد ساعات من بداية الرحلة أذيعت أنباء الفاجعة في جميع أنحاء العالم بسبب إصابته بطوربيد ونجا من كل ركابه عشرة أشخاص فقط؟ أما كتشنر فلم يعثر عليه أحد، ثم انتشرت شائعة تقول إن جثته انتشلت بواسطة مجموعة من الصيادين على الشاطىء النرويجي وقرر المسؤولون إغلاق هذا الموضوع.

وبعد عشرة أعوام ثارت المسألة بشكل حماسي عندما استطاع أحد الصحفيين استصدار أمر بفتح المقبرة بعد إثباته أنها بالفعل مقبرة اللورد كتشنر، وبالفعل جرى نقل النعش إلى لندن تحت حراسة مشددة من اسكتلنديارد وحفظ في مشرحة لحين فحص الجثة.

وفي حضور مندوب القضاء والشرطة والعالم الباثولوجي الشهير سير برنارد سيلزبوري جرى فتح النعش الذي كان خالياً تماماً!!! ولم يستطع أحد أن يقدم تفسيراً رسمياً لاختفاء الجثة ولم يصدر تكذيب رسمي لما قيل من أن ثلاثة ضباط من ذوي الرتب العالية جاؤوا إلى المشرحة وأخرجوا الجثة وأحرقوها، وإذا صحت هذه الرواية، فيكون اللورد قد مات بالماء والنار[1]!!!

---

(١) ٣٠ ظاهرة خارقة ص ٨٧ ـ ٩٠.

سيدي قائد البحرية: رأيت حلماً هاماً:

الحرب سيمفونية تشترك في أدائها أفرع عديدة تنسق بينها القيادة التي تعمل على جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات العسكرية وغير العسكرية وهي كذلك تجربة اجتماعية للمجتمع والفرد تشحذ في كل منهما أقصى الطاقات وتستخرج الكوامن التي لا يمكن أن تظهر في الظروف العادية، وكما يمكن أن تقرأ عن اهتمام فرعون من فراعنة مصر أو ملك من ملوك بابل بحلم رآه، أو روي له، ستقرأ في السطور التالية قصة حلم كان له أثر كبير على مجريات الحرب العالمية الأولى:

في بداية الحرب العالمية الأولى كانت بريطانيا على شفير كارثة برية وبحرية وكانت القوارب الألمانية مصدر خطر ورعب قاتل للبحرية البريطانية، وفي الأسبوع الأول من سبمتبر تلقى مكتب اللورد فيشر قائد البحرية البريطانية خطاباً من الممرضة سارة موريس تحكي له فيه حلماً رأته في منامها.

رأت الممرضة في منامها حيتاناً تحمل قلاعاً فوق ظهورها وتدور حول جسر [فيرث أوف فورث] ورغم أنها لم تر هذا الجسر بعينيها إلا أنها كانت قد رأت صوراً له فتعرفت عليه وتأكدت من ذلك بتكرر الحلم لليلتين متواليتين، وقد أثار الحلم اهتمام المسؤول عن دفاعات منطقة الجسر.

كان هذا الجسر ممراً حيوياً هاماً لنقل الإمدادات إلى قوات

الاطلنطي البريطانية وإلحاق الضرر بهذا الجسر كان كفيلاً بترجيح كفة الألمان لأنه سيؤدي إلى عزل قطاع كامل من القوات البريطانية وجعله بلا إمدادت، وعلى الفور انتبه الرجل إلى ضرورة تأمين الجسر فأمر بحماية دعائمه من قذائف الغواصات الألمانية بإحاطتها بصبات خرسانية وفي ظرف أسبوع كانت العملية على وشك الانتهاء.

وفي ٧ اكتوبر ١٩١٤ عندما كانت المدمرة فيرليس تبحر بالقرب من [فيرث أو فورث] أبلغت عن مشاهدة غواصتين ألمانيتين بعد عبورها للجسر، وشاهدت المدمرة بعد ذلك انطلاق ثلاثة طوربيدات من الغواصتين تستهدف دعائم الجسر، واستطاعت فيرليس أن تغرق الغواصتين.

وبذلك تحقق حلم سارة موريس ونجا الجسر[١]!!

رأت الحادث قبل وقوعه بأيام:

هبطت الطائرة مقتربة من سطح الماء ومن ممر الهبوط على الساحل، وقبل أن تصل إلى الممر ارتطمت بسطح الماء واختل توازنها، وضربت الأرض بأحد جناحيها ثم تحولت إلى كتلة من اللهب، هكذا وقع الحادث كما رأته السيدة جون واليك في منامها.

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة من صباح ٢٦/يناير ١٩٦٢ ولم تستطع السيدة أن تطرد الهواجس من خاطرها لسببين الأول أن

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٧ - ١٠٩.

الحلم كان واضحاً وحياً بشكل غير عادي، والثاني أن الطائرة التي رأتها في منامها هي من النوع الذي يعمل زوجها ملاحاً عليه.

اتصلت السيدة بالشركة فأخبروها أن الأمور على ما يرام ولا توجد بلاغات عن حوادث، وفي يوم ٤ فبراير نُشر في جرائد لونج بيتش - حيث تقيم - خبراً عنوانه [زوجة تتنبأ بتحطم الطائرة في حلمها] فقد عاودت الاتصال بشركة الطيران ليخبروها أن الطائرة تحطمت وأمكن إنقاذ زوجها ضمن أربعة من طاقم الطائرة التي رأت تحطمها قبل أن يحدث بخمسة أيام(١)!!!

حكم بالإعدام ولكن:

في مساء ١٤ نوفمبر ١٨٨٤ عثر على عانس عجوز تدعى إيما آن كيز مقتولة في حجرة الكرار وقد ذبحت بسكين البستاني الذي يعمل عندها، وكان ينام في حجرة مجاورة لحجرة الخزين التي عثرت فيها على الجثة، وفي ٤ يناير ١٨٨٥ عقدت محاكمة للبستاني في اكستر، وظهر من إجراءات المحاكمة أن الآنسة كيز كانت قاسية على من يعملون عندها، وتفرض عليهم العمل الشاق مقابل أبخس الأجور، وكانت قبل مقتلها قد أخبرت البستاني أنها ستخفض راتبه، وقد نظرت المحكمة إلى هذا باعتباره الدافع المباشر للجريمة.

حكمت المحكمة على البستاني جون لي بالإعدام، واقتيد إلى السجن ينتظر تنفيذ الحكم فيه، وفي السجن وبالتحديد يوم ٢٣ فبراير

(١) ٣٠ ظاهرة خارقة حيرت العلماء - مرجعع سابق - ص ١١٧ - ١١٩.

قام من نومه وقص على حارسه تفاصيل حلم رآه في نومه، قال للحارس صمويل بنيت: «رأيت في منامي أنني أقاد إلى حديقة صغيرة تنصب وسطها مشنقة، ثم أدفع لصعود درجات المشنقة... ثم وضع غطاء على رأسي، وأدخل حبل المشنقة في عنقي وسمعت منفذ الحكم يدفع الرافعة وأحسست بالترباس يتحرك تحت قدمي لكن الباب الذي أسفلي لم يفتح.

في اليوم نفسه اقتيد جون إلى المشنقة التي كانت فعلاً في حديقة صغيرة داخل السجن ولكنها كانت في مكان لا يتاح للسجناء رؤيته من زنزاناتهم بل ولم يكن يعرف أساساً أن هناك حديقة في السجن، دفع جون إلى المشنقة ووضع الحبل حول رقبته، ووضع قناع على وجهه ودفع الضابط الرافعة ليسقط جون في بئر عميق، ولكن جون لم يسقط، وبهت الحاضرون جميعاً وهم لا يفهمون ما حدث وأعيدت التجربة مرة أخرى بنفس النتيجة، واختبرت المشنقة مرات فكانت تعمل بشكل طبيعي، وفي المرة الثالثة تكلم من خلف قناعه قائلاً «لن تتمكنوا من إعدامي فالله يعلم إنني بريء».

وانهمرت الدموع من عيني القسيس الذي كان يحضر تنفيذ الحكم وقال برجاء «هذه إرادة الله، لا يجب أن تحاولوا إعدام هذا الفتى مرة أخرى».

وأعيد جون إلى الزنزانة وكتب الضابط تقريراً مفصلاً ورفعه إلى السلطات الأعلى وتم تخفيف الحكم من الإعدام إلى السجن المؤبد،

وأمضى جون عشرين عاماً في السجن ثم عاش بعد ذلك خمسة عشر عاماً حتى مات بشكل طبيعي عام ١٩٢٠[١].

(١) المرجع السابق ص ١٧ ـ ٢١.

من امين الطاهر

الفصل الثالث عشر

من الأسطورة إلى العلم

في سنة ١٧٣٥ صدر في انجلترا قانون يعتبر الاشتغال بالروحية شعوذة يستحق فاعلوها العقوبة من الدولة، وفي عام ١٨٢٤ صدر قانون اقتصر على الوسطاء الروحانيين ومساعديهم واعتبرهم متشردين لا عمل لهم، ولكن مجلس العموم البريطاني ألغى هذين القانونين بإجماع الآراء.

ونهضت حركة الدراسات الروحية في النصف الثاني من القرن الماضي حتى تم تأسيس جمعية المباحث الروحية سنة ١٨٨٢ في لوندرة، بعد أن كان المذهب المادي قد أوغل وأخذ يُعلن أنه ليس هناك سوى العالم المنظو ر ولا شيء سوى المادة ولا مكان للروح في هذا الوجود.

وقد جاء في كتاب [الشخصية الإنسانية] للعلامة هـ. و. ميرسي مدرس السيكولوجيا بجامعة كمبردج أن مجموعة من الزملاء اجتمعوا سنة ١٨٧٣ وأجمعوا رأيهم على ضرورة بذل جهود جادة في مجال المباحث الروحية عن طريق التجربة والمشاهدة وأن تؤسس على البحث العلمي بالمعنى الدقيق بإجراء تجارب يمكن تكرارها.

وقد جمعت الجمعية من التجارب الروحية ما وقع في نحو ٥٤ مجلداً، كتب عنها وليم جيمس[1] في كتابه [إرادة الاعتقاد] قائلاً: «هذه الجمعية في انجلترا وأميركا سمحت بأن يلتقي العالمان العلمي والروحي في مجال واحد وسوف يكون لها نصيب كبير في ترتيب المعارف الإنسانية».

وكان الرأي العام قد حمل المجمع العلمي الإنجليزي ـ قبل أن تتألف هذه الجمعية ـ على تأليف لجنة لفحص الظواهر الروحية وتمحيصها فندبت ٣٣ علماً من أعلامها لهذه المهمة العلمية، وبذلوا في تحقيق هذا الموضوع ١٨ شهراً ثم حرروا تقريراً إجماعياً وقع في ٥١٤ صفحة وطبع بأكثر من لغة حية جاء في ختامه ما نصه:

«اكتفت اللجنة بذكر المشاهدات التي كانت مدركة بالحواس وحقيقتها مستندة إلى الدليل القاطع وقد اقتنعت اللجنة ـ التي بدأت عملها بإنكار صحة هذه الظواهرة بشدة ـ أن مشاهداتها خلال البحث هي مشاهدات حقة لا غبار عليها».

وكان لهذا التقرير أثر علمي فاهتم العلماء في كل مكان ببحث هذه الخوارق وتألفت مئات الجمعيات لذلك وصدرت المجلات الروحية وأقيمت خمس مؤتمرات عالمية في لوندرة وباريس[2]، وإن

---

(١) وليم جيمس: مدرس علم النفس بجامعة هارفارد، ويعد من أعظم علماء النفس في القرن الـ ١٩ وتلميذه وليم مكدوجال أستاذ علم النفس بجامعة ديوك وعمدة علم النفس الاجتماعي وواحد من أعظم علماء النفس في القرن العشرين.

(٢) حقيقة الإنسان ـ د. عيسى عبده ـ أحمد إسماعيل يحيى ـ الكتاب الثاني ـ دار =

ظل بعض العلماء يخشى أن يتهم بالشعوذة إذا أعلن اقتناعه بهذه الظواهر حتى أن أحد الباحثين في أميركا توصل إلى نتائج هامة في تجاربه حول هذه الظواهر ولكنه امتنع عن نشرها وقال: إن عائلتي تريد طعاماً[1].

الدكتور راين في المعمل:

ذلك ما كانت عليه مرحلة العلم بالناحية الروحية إلى أواخر العقد الثاني من القرن العشرين حتى إذا استثارت هذه المباحث عقل وليم مكدوجل ورأى ندرة الأفراد الذين يتمتعون بهذه القدرات، فطلب من صديقه الدكتور راين وكان أستاذاً للنبات وعضواً بجمعية المباحث الروحية أن ينظم فريق في بحث علمي تجريبي خاضع للاشتراطات العلمية. ثم أنشأ مكدوجل معامل الباراسيكولوجي أو [ما وراء علم النفس] بجامعة ديوك بولاية كارولينا الشمالية ودخل راين وزوجته أستاذة علم النبات المعمل وبدؤوا في أوائل العقد الثالث من هذا القرن يوالون أبحاثهم التجريبية[2].

والطريف أن الدكتور راين نفسه قد بدأ سعيه لإنشاء قسم الباراسيكولوجي في جامعة ديوك بعد أن رأى حلماً ذا تفاصيل عجيبة دقيقة تحقق في الخارج بحذافيره، وربما كان هذا هو السبب في

= المعارف ـ ط ٢ ـ ١٩٨٨ ـ ص ٢١ ـ ٢٠٢.

(١) المعارج ـ المجلد الأول ـ عدد ٩ ـ سبتمبر ١٩٩١ ـ ص ١٣.

(٢) حقيقة الإنسان ـ مرجع سابق ص ٢٠٣.

اختيار طريق غير الطريق الذي اختارته جمعيات المباحث النفسية، فبينما كانت الجمعيات تهتم بذوي المواهب الخارقة وحدهم، اهتم هو بفحص الفرد العادي لمعرفة ما لديه من قوى خارقة، وقد أثبتت تجاربه أن الإنسان يملك في الغالب قدرة على الحدس بمعدل يفوق معدل الصدفة قليلاً أو كثيراً[1] وكانت نتائج التجارب بالتفصيل كما يلي:

١ ـ درس راين ومعاونوه ظاهرة انتقال الأفكار وأثبتوا وجودها علمياً.

٢ ـ درسوا ظاهرة الاستشفاف والجلاء البصري وهي الإحساس بالحوادث التي تحدث على مسافات بعيدة وأثبتوا وجودها.

٣ ـ أثبتوا أن انتقال الفكر والجلاء البصري مظهران لظاهرة واحدة أطلقوا عليها اسم التخاطر [الإدراك خارج الحواس].

٤ ـ أثبتوا أن ظاهرة الإدراك خارج الحواس لا تخضع للرقابة المكانية والزمانية.

٥ ـ أثبتوا أن العقل يستطيع أن يحس ويتأثر بالمادة عن طريق الإدراك خارج الحواس، وكذلك يستطيع التأثير فيها بطاقة سموها: الطاقة النفسانية المحركة، أي أن العقل يؤثر في المادة دون أي اتصال مباشر.

---

(١) المعارج ـ مرجع سابق ص ١٢ ـ ١٣.

٦ ـ أن ما سبق دليل على وجود شق في الشخصية الإنسانية لا يخضع لقوانين الطبيعة المعروفة أي شق روحي[١].

وأثارت تجارب الدكتور راين ضجة علمية كبيرة في أميركا كان من آثارها أن عُقد مؤتمر الإحصاء في أميركا وناقش الناحية الإحصائية من أبحاثه ثم أذاع البيان التالي:

«إن أبحاث راين لها ناحيتان: تجريبية وإحصائية، والرياضيون لا يستطيعون أن يقولوا شيئاً عن الجانب التجريبي منها، أما الناحية الإحصائية فقد أظهرت الأبحاث الرياضية الحديثة أن الجانب الإحصائي فيها صحيح، وإذا كان من الممكن أن تُهاجم أبحاث راين فإنها ينبغي أن تُهاجم من ناحية أخرى غير الناحية الرياضية»[٢].

وقد أصبحت هذه النتائج في موقف علمي فوق النقد أو الجدل بعد أن كانت النتائج التجريبية فيها قد عُرضت على مؤتمر علم النفس في أميركا[٣].

أعلام في الميدان:

فرضت الظواهر الروحانية نفسها على ثقافة العصر واستقطبت اهتمام عدد ضخم من العلماء والفلاسفة والمفكرين في شتى أقطار الغرب وقد آثرنا أن نذكر بعضاً من هؤلاء العلماء والمبدعين الأعلام:

---

(١) حقيقة الإنسان ـ مرجع سابق ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.
(٢) المعارج ـ مرجع سابق ـ ص ١٣.
(٣) حقيقة الإنسان ـ مرجع سابق ص ٢٠٥.

- سير أوليفر لودج	عضو الجمعية العلمية الملكية البريطانية .
- وليم كروكس	عضو الجمعية العلمية الملكية البريطانية .
- ألفرد راسل والاس	عضو الجمعية العلمية الملكية البريطانية .
- وليم جيمس	عالم نفس شهير ، تتلمذ على يديه مكدوجل ، أستاذ بجامعة هارفارد ومديرها فيما بعد .
- تشارلز اليوت نورثون	أستاذ بجامعة هارفارد .
- وليم ليوبولد	أستاذ علم النفس والفلسفة بجامعة بنسلفانيا
- وليم مكدوجل	أستاذ علم النفس الشهير .
- القاضي جون ورث أدموندز	رئيس المحكمة العليا بنيويورك ورئيس مجلس الشيوخ الأمريكي .
- الرئيس الأمريكي	أبراهام لنكولن
- توماس أديسون	المخترع العظيم
- بيير كوري	عالم الراديو الشهير .
- فيكتور هوجو	الأديب الفرنسي الشهير .
- بلزاك	الفيلسوف الفرنسي الشهير .

- بول جيبيه تلميذ باستير ومدير معهد باستير بنيويورك.
- شارل ريشن أستاذ الفسيولوجي بطب باريس والحاصل على جائزة نوبل في العلم سنة ١٩١٣.

إلى جانب العشرات من أساتذة الجامعات في مختلف التخصصات وأعضاء المجامع العلمية والشخصيات العامة التي أعلنت اهتمامها بالظاهرة وشاركت في إجراء البحوث عليها في فترة كانت أحوج ما تكون إلى الأنصار المخلصين[١].

وكما أحدث الدكتور راين طفرة بأبحاثه حدثت طفرة أخرى أكثر إثارة بعد سنوات قليلة!!

---

(١) الروح والخلود بين العلم والفلسفة - دار المعارف - سلسلة اقرأ رقم ٣٢٦ - تأليف عبد العزيز جادو - به معلومات تفصيلية عن تاريخ أعلام هذا الميدان وكذلك [علم أطلال المذهب المادي] للعلامة محمد فريد وجدي [مجلدين].

من اصل المجلد

الفصل الرابع عشر

حصاد التجارب المعملية

من حصاد التجارب العلمية :

تناولت التجارب المعملية خمس مجموعات من القدرات الخارقة المعتقد أنها تكمن وراء الوقائع فوق العادية المعروفة وهي : التخاطر، والاستشفاف، والتحريك النفسي، والتنبؤ، والاتصال بالموتى، وكانت المشكلة الملحة على العلماء هي الإجابة عن السؤال التالي : هل هذه القوى يملكها البشر جميعاً أم أنها قاصرة على قلة مختارة؟

ورغم أن أبحاث الدكتور راين اهتمت بالإجابة عن هذا السؤال بالتحديد فإن الأبحاث استمرت في نفس الاتجاه بدوافع متعددة كان منها بالطبع محاولة التشكيك في نتائج أبحاث دكتور راين بتجارب أخرى بعد أن حازت بالاجماع إقرار علماء الإحصاء وعلماء النفس.

أولاً : التخاطر :

بينت دراسة الوقائع التلقائية أنه توجد قلة من الناس وُهبت قوة التخاطر، ولو أنه في ظل ظروف العناء والشدة يستطيع الكثير من

الناس أن يصبحوا شديدي الحساسية للآخرين ممن تربطهم بهم صلات انفعالية وثيقة، وهذه الحالات الكثيرة هي التي أدت إلى إطلاق اسم التخاطر على تلك القدرة، إذ إنها تعني نقل أو توصيل المعاناة أو المشاعر، فقد كانت فتاة صغيرة تبلغ حوالي العاشرة تسير في إحدى طرقات المدينة وهي تقرأ في كتاب، وفجأة بدا لها أن كل ما يحيط بها قد تلاشى ورأت أمها وقد استلقت على الأرض وبجانبها منديل حريري في إحدى غرف المنزل، فانزعجت لتلك الرؤية انزعاجاً شديداً وبدلاً من أن تجري إلى المنزل أسرعت إلى منزل طبيب وأقنعته بالذهاب معها للمنزل، وهناك وجد الأم ملقاة على الأرض في نفس الغرفة وبجانبها المنديل الحريري وهي تعاني من أزمة قلبية حادة وتمكن الطبيب من إنقاذها[1].

وقد أجرى الكاتب المشهور أتبون سنكلر وكان ماديّاً لا يؤمن بالروح ـ تجارب على التلباثي (التخاطر) بينه وبين زوجته على ملأ من الشهود وبلغ عدد هذه التجارب ٢٩٠ تجربة نجح منها نجاحاً تاماً ٢٣٪ ونجح نجاحاً جزئياً ٥٣٪، وفشل فشلاً تاماً ٢٤٪[2].

ويعتبر أول اختبار دقيق لوجود التخاطر هو الاختبار الذي أجراه الدكتور كوفر عالم النفس بجامعة ستانفورد خلال الحرب العالمية الأولى فاستخدم مجموعة من أوراق اللعب استبعد منها الصور بحيث

---

(١) عقول المستقبل جون ج تايلور ـ عالم المعرفة، ص ١٩٧.
(٢) الله ـ العقاد ـ ص ٤٤ ـ دار المعارف ـ ط ٣.

تكونت من ٤٠ ورقة وجعل مرسل المعلومات [الذي سيقوم بالتخاطر] ينظر إلى ورقة ما بينما يقوم المستقبل بتخمين الرقم المكتوب عليها، واستخدم كوفر في هذه التجربة مائة مرسل ومائة مستقبل كل منهما في غرفة منفصلة وبلغ عدد التخمينات عشرة آلاف وجعل نصف التخمينات يتم أثناء نظر المرسل إلى الورقة.

وكانت التخمينات الصحيحة ٢٩٤ من عشرة آلاف وكان المتوقع وفق قاعدة الصدفة ٢٥٠[1].

وأجرى كل من الآنسة إنيا جفسون، ت بسترمان والدكتور شاول عام ١٩٢٩ اختباراً للاستشفاف تضمن إرسال مظاريف مغلقة يحتوي كل منها ورقة لعب إلى حوالي ٦٠٠ شخص وطلب من كل واحد أن يخمن ما بداخل المظروف وبلغ عدد التخمينات المسجلة حوالي ١٠ آلاف وكانت النتائج قريبة من حدود الصدفة.

ومن التجارب الملفتة تجربة الدكتور شاول ومسز ستيوارت حيث استخدم عدداً من الناس لنقل صور ذهنية للسيدة ستيوارت ونجحت في استقبال رسائل معظمهم وكانت الرسائل تحوي صوراً ملونة لأسد أو فيل أو حمار وحشي وهكذا، وكان المرسل يجلس في غرفة مجاورة لغرفتها وبينهما باب مغلق وتوضع الأوراق عشوائياً أمام المرسل الذي يختار واحدة منها وتكتب مسز ستيوارت ما تظن أنه مرسوم فيها ثم تعاد التجربة بعد تفنيط الورق. ومن بين ١٠٠ , ٧٣

---

(١) عقول المستقبل ص ١٩٨.

محاولة نجحت مسز ستيوارت في ٢٠٠٠ محاولة زيادة على النجاح المتوقع وفقاً للصدفة.

وأورد الأستاذ جاردز مور حالة لإحدى الطالبات التي تمكنت من تخمين أول ١٥ ورقة من مجموعة أوراق اللعب عددها ٢٥ ورقة ينظر إليها شخص في غرفة مجاورة وكانت نسبة حدوث ذلك بالصدفة ١ : ٣٠ مليون وقد حدثت نجاحات أخرى ولكن بدرجة أقل عندما كان الاتصال التخاطري عبر مسافات بعيدة، وإن كان بُعد المسافة ليس سبباً مؤكداً لتغير نسبة النجاح فتجارب مدام ستيوارت لم تقل نسبة نجاحها عندما زادت المسافة بينها وبين المرسل إلى ٢٠٠ ميل[١].

الاستشفاف:

لقد وجدت حالات عديدة من الاستشفاف التلقائي لأشخاص ذوي قدرات خاصة مثال ذلك جيرارد كروازيت الذي كثيراً ما ساعد في إيجاد الأطفال المفقودين وبيتر هوركس وكلاهما من هولندا وكان نجاحهما كبيراً.

ولقد أجرى الدكتور برات في معمل الدكتور راين وكان المفحوص يدعى هيوبرت برس وقد حاول أن يخمن ترتيب الأوراق في مجموعة من البطاقات يبلغ عددها ٢٥ بطاقة لم ينظر إليها أحد بعد تفنيطها. وكان موجوداً في غرفة تبعد ٣٠٠ قدم على الأقل عن الغرفة

(١) عقول المستقبل ـ جون ج تايلور ـ ص ١٩٧ ـ ٢٠٢.

التي توجد فيها البطاقات وتمكن من النجاح في ٥٥٨ محاولة من المحاولات التي بلغت ٢٠٠٠ محاولة وكان احتمال النجاح بطريقة الصدفة هو (١٠ ـ ٢٦) إلى واحد.

وحصلت الدكتورة دوروثي مارتن في جامعة كلورادو على نتائج مشابهة فقد جعلت ٣٩ شخصاً يقومون بمحاولات بلغت ٧٦ ألف محاولة وكانت لا تجعل أحداً يرى البطاقات إلا بعد أن ينتهي المفحوص من تخمين البطاقات كلها وبلغ مقدار النجاح ٢٣٪ وكان احتمال الصدفة بعيداً جداً عن ذلك ويبلغ رقماً ضخماً[١].

وأجرى الدكتور بوهاريش تجارب على المتنبىء المشهور بيتر هوركس في معامل مؤسسة المائدة المستديرة التي أنشأها لدراسة الظواهر العقلية، وقد وصل الدكتور بوهاريش إلى نتائج لا يمكن الشك فيها إذ نجح بيتر هوركس في أربعة من كل خمسة اختبارات كان الباحثون يعطونه أشياء مختلفة داخل أظرف سميكة معتمة من ورق المانيلا، فراشة، دبوس شعر، زر، وأحياناً ورقة بيضاء، وكان قادراً على التعرف على محتويات الظرف بمجرد لمسه من الخارج.

التنبؤ:

تعتبر ظاهرة التنبؤ ـ وبمعنى أشمل الخروج من الزمن ـ بمعرفة المستقبل أو الماضي ظاهرة مثيرة لا بسبب أهميتها للحياة الإنسانية فحسب ولكن أيضاً لطبيعة علاقتها بالزمن وهي تحدث في اليقظة

---

(١) عقول المستقبل ـ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

والمنام وقد أجريت مجلة الصنداي تايمز البريطانية استفتاء حول الأحلام أجاب عنه [٢٥ ألف شخص] رأى ٢٥٪ منهم أحلاماً استشرافية [مستقبلية] تحققت في المستقبل[١].

وهناك حالات مشهورة لهذا النوع من التنبؤ منها ج. و. دن الذي حلم ذات ليلة في خريف سنة ١٩١٣ بأنه يطل من فوق رصيف عال للسكك الحديدية على مكان يعرفه يقع إلى الشمال من مدينة فورث بريدج ورأى تحته أرضاً مكشوفة مكسوة بالحشائش فوقها جماعات من الناس وتكررت رؤيته للمنظر عدة مرات ولكن في المرة الأخيرة لاحظ أن قطاراً متجهاً إلى الشمال قد خرج عن القضيب وسقط على الرصيف ورأى عدة عربات مقلوبة عند قاع المنجدر تتساقط فوقها كتل كبيرة من الأحجار، وفي يوم ١٤/٤/١٩١٤ قفز القطار المعروف باسم [الاسكتلندي الطائر] من فوق القضبان وسقط على بُعد ١٥ ميلاً من فورث بريدج[٢].

ويروي الكاتب الشهير كولن ويلسن [أمريكي] تجارب لنماذج مماثلة منها مثلاً: أنه قدم عام ١٩٧٦ برنامجاً تليفزيونياً عن جون كودلي الذي سُمي فيما بعد لورد كولبراكن والذي اعتاد وهو لا يزال طالباً في جامعة أوكسفورد أن يرى في أحلامه الفائزين في سباق الخيل وجمع مبالغ طائلة من هذه القدرة الخارقة.

---

(١) عقول المستقبل ـ ص ١٢١.

(٢) عقول المستقبل ص ٢٠٤.

ولبيتر فيرلي المراسل العلمي للتلفزيون المستقل [انبدانت] تجربة مشابهة رواها للإذاعة البريطانية إذ سمع في مذياع سيارته أثناء اتجاهه إلى العمل في يوم من أيام ١٩٦٥ طلباً يذاع من أجل السيدة بلانكي وكان قد دخل بسيارته إلى قرية بلاكني وبعد وصوله إلى مكتبه سمع الاسم مرة أخرى وفي المرة الأخيرة كان حصاناً يجري في الدربى بنفس الاسم فراهن عليه وربح، ومنذ ذلك الحين كان يستطيع التقاط أسماء الرابحين لمجرد النظر إلى القائمة.

وكذلك السيدة جين أونيل التي أورد قصتها في كتابه [أسرار] التي شاهدت أثناء قيادتها السيارة حادثة بشعة وعاونت في إنقاذ أناس أصيبوا إصابات خطرة وكانت الصدمة قاسية لدرجة أنها قضت عدة أسابيع بعيداً عن العمل وبدأت تعاني أثناء اليقظة رؤى عجيبة ، مثل أنها رأت صديقاً حميماً مقيداً بالأغلال في سجن سفينة شراعية كبيرة ولما أخبرت صديقها أجاب بأن أسلافه كانوا من الهيجونوت أو [البروتستنت الفرنسيين] وأن كثيراً منهم وُجدوا في تلك السجون.

وحدث لنفس السيدة موقف مثير عندما زارت إحدى الكنائس مع صديقة لها وبعد الزيارة أبدت لصديقتها تأثرها بصورة رأتها خلف المذبح فأخبرتها صديقتها أنه ليس ثمة أي صور خلف المذبح فاستبدت بها الحيرة حتى اتصلت بالمسؤولة عن الكنيسة فأكدت أنها غير موجودة بل ولم تكن هناك صورة في هذا المكان قبلاً، وقامت بزيارة أخرى مع صديقتها ففوجئت بأن الكنيسة مختلفة تماماً عن الزيارة الأولى فقد كانت أضيق كثيراً في الزيارة الأولى كما لم تجد

الصورة، ولجأت السيدة إلى من عرّفها بخبير في التاريخ قال لها: إن الكنيسة كانت على النحو الذي رأته في المرة الأولى قبل أن يعاد بناؤها بشكلها الحالي عام ١٥٥٣ أي قبل ٤٠٠ سنة.

وحالة أخرى لقس اسمه الشماس رأى في منامه بوضوح غريب منظراً طبيعياً في إيطاليا: طريق جبلي.... منزل أبيض... امرأة تحيك ثوباً بالإبر الطويلة وابنتها تنظر حولها وثلاث رجال يرتدون ميدعات وقبعات مدببة يجلسون إلى مائدة... وكلب نائم... وثلاثة خراف في حقل كان المنظر مفصلاً وفي غاية الوضوح وبعد أعوام ثلاثة وكان في طريقه إلى روما توقفت عربته لاستبدال الجياد وهنا وجد نفسه يتطلع إلى نفس المشهد بكل تفاصيله الدقيقة[١].

وقد أُجريت تجارب كثيرة دقيقة على معرفة الغيب منها تجارب على تخمين أوراق اللعب، وفي هذه التجارب يقوم المفحوص بتخمين الأوراق التي ينظر إليها شخص آخر وكان نجاح المفحوص في تخمين الورقة التي تليها يحسب على أساس التخمينات التي قام بها حتى الانتهاء من فرز الأوراق، وكان أحد النجاحات الباهرة في مثل هذه التجارب ما أحرزه بازيلي شاكلتون بإشراف الدكتور شاول عام ١٩٤١، فقد حاول أن يخمن الورقة التي ينظر إليها شخص آخر واستطاع أن يحقق نسبة عالية من النجاح في معرفة الورقة التالية على الورقة التي تكشف للناظرين فاستطاع مثلاً أن يحقق في ٣٦ مجموعة

---

(١) فكرة الزمان عبر التاريخ ـ عالم المعرفة ص ٣٠٣ ـ ٣٣٠.

من ٢٥ تخميناً نتائج لا يمكن أن تتحقق بالصدفة إلا نسبة ١ ـ ١٠ ملايين.

واستخدمت طريقة أخرى لاختيار معرفة الغيب وهي جعل، المفحوص يخمن ترتيب الأوراق قبل تفنيطها وقام بذلك هيربرت بيرس تحت إشراف البروفسور راين ولم يكن احتمال نجاحه بالصدفة إلا ١ ـ ١٠ ملايين.

وفي معهد الباراسيكولوجي بدير هام بولاية كارولينا استخدم هلموت شميدت مدير المعهد تحلل المواد المشعة ليكون بواسطتها أرقاماً عشوائية، أي أن العملية كانت أشبه بلعبة [ملك أم كتابة؟] ولكنها اليكترونية وكان يطلب من المفحوصين أن يتنبؤوا أي وجه سيظهر واستطاع اثنان من المفحوصين إحراز نجاح كبير في سلسلة محاولات بلغت ٦ آلاف تخمين لكل واحد وكان احتمال إحراز هذه النتائج بالصدفة ١ ـ ١٠ ملايين.

وقد شوهدت القدرة على التنبؤ بالغيب لدى بعض الحيوانات كالقطط والفئران والصراصير وأجريت تجارب على الفئران عام ١٩٦٨ قام بها عالمان فرنسيان نشرا نتائج أبحاثهما بأسماء مستعارة لما قد يصيب سمعتهما العلمية، فقد وضعا عدداً من الفئران في قفص وقسماه إلى نصفين وكان كل نصف يتلقى صدمة كهربائية على فترات وفقاً لنظام الكتروني ثنائي عشوائي وكانت حركات الفئران تُلاحظ على شاشة ذات خلية ضوئية فوجدا أن الفئران استطاعت أن تتجنب الوجود في النصف الذي كان على وشك التكهرب وذلك بدرجة عالية

وكان احتمال حدوث ذلك بالصدفة يصل إلى واحد في الألف.

تكررت تجارب مشابهة على الصراصير في أمريكا أدت إلى نتائج أقوى وكانت احتمالات الصدفة فيها واحد إلى ثمانية آلاف[1].

محاولات علمية لتفسير التنبؤ:

في منتصف القرن الماضي قدم الدكتور جوزيف رودس بوكاتان أستاذ الطب تفسيراً مقتضاه أن الأشياء لها تاريخ مطبوع على نحو ما كما تطبع الصورة الفوتوغرافية وأن هذا التاريخ يستطيع أن يقرأه شخص يتمتع بحساسية كافية لالتقاط الذبذبات وأطلق على هذا الاستعداد لفظ [التكهن النفسي] ودخلت هذه الكلمة في مفردات البحث في الظواهر النفسية فوق العادية ولقد انتاب وليم دنتون [زوج شقيقة الدكتور بوكاتان] وأستاذ الجيولوجيا بجامعة بوسطن شعور بالدهشة الشديدة حين تمكن شخص ممن يجري عليهم تجاربه من وصف تاريخ عينات جيولوجية مختلفة ملفوفة في أوراق بنية اللون وصفاً تفصيلياً وهنا أعرب وليم دنتون عن أمله في أن تصبح يوماً ملكة [التكهن النفسي] أداة [تلسكوب] لرؤية الماضي[2].

وبعد ظهور نظرية النسبية لأينشتين ظهر تفسير ثانٍ عرضت له في الجزء الخاص بأشكال التنبؤ من هذا الكتاب، ويعتبر أحدث التفسيرات لهذه الظاهرة هو تفسير د. دابليو. سبيري إذ ذهب إلى

---

(١) عقول المستقبل جون ج تايلور ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩.

(٢) فكرة الزمان عبر التاريخ ـ ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

وجود ذاتين منفصلين للإنسان أحدهما يعيش في النصف الأيمن من المخ والثاني يعيش في النصف الأيسر، وكنا نعرف من زمن طويل أن النصف الأيسر من المخ يهيمن على اللغة في حين يهيمن النصف الأيمن على التذوق الفني والاستمتاع أي أن النصف الأيسر عالم والنصف الأيمن فنان، النصف الأيمن عاطفي والنصف الأيسر منطقي.

ويرتبط نصفا المخ فيما بينهما بمعبر من الألياف العصبية فإذا استؤصل هذا المعبر فإن كلاً منهما يعمل منفصلاً عن الآخر وهكذا إذا عرضت تفاحة على النصف اليمنى من المخ [الذي يرتبط بالعين اليمنى] وعرضت برتقالة على النصف الأيسر، وسُئلت: ماذا شاهدت؟ فستكون الإجابة تفاحة، ولكن إذا طلب منك أن تكتب بيدك اليسرى ما رأيت، فستكتب برتقالة، وإذا سئلت ماذا كتبت من فورك فستجيب تفاحة!!!

ومعنى هذا أن كل نصف من نصفي المخ لا يعلم ما يفكر فيه الآخر.

فعندما أجري عملية حسابية على الورق فإنني أستخدم نصف مخي الأيسر مع قسط من المعونة من النصف الأيمن من أن الآخر عن طريق الاستبصارات المفاجئة، ويبدو أن هذه هي الطريقة التي يعمل بها المخ البشري: النصف الأيسر هو القائد وعلى النصف الأيمن أن يعبر عن نفسه عن طريق النصف الأيسر، وهذا هو السبب في أن الإنسان المتحضر يبدو أنه لا يملك من الحدس إلا أقله.

و يروي كولن ويلسون تجربة ذاتية له مع هذه الظاهرة يحكيها قائلاً: ذات يوم كنت أقود سيارتي مصعداً على الطريق من نبتوان إلى ميفاجيسي وهو عبارة عن تل تتخلله منحنيات عديدة مباغتة، وكانت الشمس تخايل عيني حتى تكاد تعميني تماماً، وعند نقطة معينة خطر لي أنني لا بد مقترب من انعطافة وحاولت أن أدير عجلة القيادة غير أن يداي خانتاني وحافظتا على تثبيت عجلة القيادة كان مخي الأيمن يعلم أنني لم أبلغ الإنعطافة بعد ومن ثم فقد ببساطة الأمر الذي أصدرته بإدارة عجلة القيادة[1].

وهكذا يصبح أمامنا عدة مدارس في تفسير هذه الظاهرة بعضها بدأ من «الإنسان» ليصل إلى تصور جديد ومثير لكيفية عمل المخ البشري، وبعضها بدأ من «الزمن» كإطار للظاهرة مع الاستعانة بما أحرزه علم الفيزياء من تطور خاصة بعد نظرية النسبية، وبعضها نظراً إلى «الأحداث» - موضوع التنبؤ - في ضوء معطيات الفيزياء عن الموجات الكهرومغناطيسية وإمكان صدورها سواء عن البشر أو عن الأشياء، ومع اختلاف التفسيرات تبقى الظاهرة لغزاً مثيراً وتتجاوز بوجودها المعملي حدود الخرافة والأسطورة لتصبح حقيقة علمية تؤكد رغم بساطتها تضاؤل الإنسان ومعارفه العلمية.

---

(١) فكرة الزمان عبر التاريخ - ص ٣٢٣.

التنويم المغناطيسي :

التنويم هو عملية عقلية تستخدم فيها قوة مَّا في تنويم شخص آخر حيث يصبح مستجيباً بشكل خاص للإيحاءات التي يقدمها القائم بالتنويم وقد استخدم بديلاً عن التخدير في كثير من حالات الجراحة وعلاج الأسنان وله قيمة كبيرة في الحالات التي تكون مواد التخدير الكيماوية ذات أثر ضار على المريض، ولقد استخدم أسلوب التنويم لفقدان الإحساس بالألم منذ زمن بعيد، فمنذ مائة عام قام ج ايزديل بأكثر من ثلاثة آلاف عملية جراحية مسجلة تسجيلاً علمياً في الهند وكان من بينها عمليات بتر كبرى. واستخدم التنويم في الطب قبل ذلك بكثير فقد أمكن شفاء الكثير من الأمراض مثل النقرس والأرق والشلل وأمراض الأذن وكثير غيرها على يد الطبيب النمسوي فرانز مزمر ابتداء من عام ١٧٧٤ ولقد كان نجاحه باهراً لدرجة أنه في عام ١٧٧٦ قالت أكاديمية أوجز برج [إن ما حققه د/ مزمر في مجال شفاء عدد من مختلف الأمراض يؤدي بنا إلى افتراض أنه قد اكتشف إحدى قوى الطاقة الطبيعية الخفية].

وهناك طرق عديدة لإحداث التنويم تتوقف على كل من المنوم والشخص الذي ينومه وكانت الطريقة التي استخدمها مزمر تتضمن استعمال المغناطيسية فكان يبدأ بلمس مرضاه بمغناطيس ووجد فيما بعد أنه ليس في حاجة إلى استخدامه، فلكي يحقق الشفاء يكفي أن يمر بيديه على جسم المريض أو أطرافه متتبعاً خطوط الأعصاب فتزول الأعراض.

وبعد ذلك في باريس كان يرأس جلسات تنويمية في غرف امتلأت بالناس يبدؤون في التمايل ثم يسقط بعضهم على الأرض متشنجاً ويصرخ البعض الآخر أو تنتابهم الشهقات أو يرقصون كالدراويش ويغمى على البعض وتحدث هذا المظاهر المدهشة بمجرد مرور مزمر في وسطهم يلمس أحدهم بيده أو يمر على أحدهم بيده وكانت الجماعة تجلس متشابكة الأيدي حول حوض مغناطيسي مليء ببقايا الحديد والزجاج المطحون والماء.

وأدى النجاح الذي حققه مزمر وفقدان مرضاه السيطرة على أنفسهم بتأثير التنويم إلى تكوين لجنة ملكية فرنسية قررت عام ١٧٨٥ أن المزمرية [نسبة إلى مزمر] طريقة خطرة وفقد الرأي العام إيمانه بها وطويت لسنوات طويلة في زوايا النسيان.

وبعد ذلك قام الجراح الإنجليزي جيمس بريد بتطوير الظاهرة وتخليصها من الشوائب وتوصل إلى طريقتين للتنويم إحداهما تتم عن طريق الإيحاء اللفظي والأخرى عن طريق وسائل عضوية دون أي اتصال بالمنوَم سواء باللمس أو الكلام.

وقد انتشرت عملية التنويم الذاتي بواسطة أسطوانات وأشهرها أسطوانة لمنوم إيرلندي حاصل على زمالة كلية الجراحين الملكية من المرتبة العالية وقد استخدم التنويم بنجاح مع مرضاه وأنقذ أحدهم بإجراء عملية بتر ساق مصابة بالغرغرينا باستعمال التنويم ومخدر موضعي، وأسطوانة أخرى لمنوم إنجليزي يدعى هنري بليث وهو

أول من استخدم الأسطوانات في التنويم الذاتي وتعتبر علاجاً ناجحاً للأرق بدلاً من العقاقير المنومة وهو يقول عن ذلك «من الممكن أن يموت المرء إذا زاد من جرعة الحبوب المنومة ـ وهو أمر يحدث كثيراً ـ إلا أنه لن يموت إذا زادت جرعة التنويم».

وهناك مراحل للنوم الناتج عن التنويم وضعت لاختبار عمق النوم فهناك مقياس يسمى مقياس [دافيز وهازباند] الذي يقسم النوم إلى خمسة مراحل هي:

١ ـ عدم القابلية أو الممانعة.

٢ ـ شبه النوم عند وجود ارتعاش الجفنين والاسترخاء التام.

٣ ـ السبات الخفيف عند ثبات النظرة والأطراف وفقدان الحساسية في مختلف أجزاء الجسم بالإيحاء.

٤ ـ السبات المتوسط وفيها يقوم الشخص بعد استيقاظه بتنفيذ الأفعال التي أوحي إليه بها أثناء النوم ونسيان ما مر به خلالها كما تحدث تغيرات في شخصيته بالإيحاء.

٥ ـ المرحلة الأخيرة وهي السبات مع القدرة على المشي والحركة حيث يستطيع أن يفتح عينيه دون أن يؤثر ذلك على سباته.

ويحتوي هذا المقياس كاملاً على ٣٠ مرحلة، وهناك مقياس آخر وضعه لسلي لكرون يحتوي على ٥٠ مرحلة. وفي هذا المقياس يمكن في مراحله الأخيرة التحكم في ضربات القلب وعمل الجهاز الهضمي وفي المرحلة السابعة والأربعين إحداث الأحلام بالإيحاء.

وقد أمكن عن طريق إيحاء ما بعد التنويم مساعدة الرياضيين في الجري بسرعة أكبر بل وعلى تحسين أداء فرق بأكملها من لاعبي السلة وكرة القدم كما استخدم في تقليل الشره للطعام والتدخين وكذلك في تحسين القدرة الجنسية لدى الجنسين وقد أدت هذه الطريقة إلى ظهور حالات من الإجهاد العضلي عند الرياضيين الذين تعرضوا للتنويم مما أدى في عام ١٩٦٠ إلى أن تصدر اللجنة الرياضية ومجلس الصحة العقلية لاتحاد الأطباء الأميركيين أن يصدر بياناً مشتركاً يدينان فيه ممارسة التنويم لزيادة القدرات الجسمية لدى الأفراد[١].

المخاطر الأخلاقية:

تحملنا هذه النتائج إلى التساؤل: هل يمكن أن يؤثر التنويم على شخص لدرجة الإتيان بأفعال إجرامية أو لا أخلاقية؟

لقد أجريت عدة تجارب للتحقق من ذلك شملت إحداها عريفاً في الجيش وضابطين فأعطى أحد الضابطين العريف معلومات وصفت بأنها سرية ثم نوم الضابط الآخر العريف وادعى أنه الضابط الأول وطالبه بها فما كان منه إلا أن أعطاها له وحدثت نتائج مشابهة مع سبعة جنود آخرين أمكن تنويمهم لدرجة النوم العميق.

وقد وجد الباحث حادثتين: إحداهما حدثت سنة ١٩٣٧ والأخرى سنة ١٩٦١ باستخدام التنويم[٢]، وقد شهدت محكمة

---

(١) عقول المستقبل ـ جون ج تايلور ص ١٨٠ ـ ١٩٠.
(٢) عقول المستقبل ـ ص ١٩١ ـ ١٩٢.

جنايات القاهرة جريمة مثيرة شغلت الرأي العام منذ ثمانين عاماً وأعادت جريدة أخبار الحوادث نشر إحدى جلساتها جاء فيها ما يلي:

اليوم يوم الأربعاء الأول من شهر ديسمبر ١٩١٣ محكمة جنايات القاهرة منعقدة برئاسة الأستاذ توفيق رفعت بك المستشار [معالي المغفور له توفيق رفعت باشا] قاعة الجلسة الفسيحة ليس فيها موطىء لقدم فقد تكدست جنباتها بالكتل البشرية التي جاءت تستمع إلى قضية كان لها عند الرأي العام صدى عميق.

هذه القصة بطلاها طبيب وفتاة خادمة نوّمها الطبيب مغناطيسياً ثم اعتدى عليها وإذ ثابت الفتاة إلى رشدها رفعت أمرها إلى القضاء وجيء في الجلسة بالفتاة المجني عليها وطلبت هيئة المحكمة إلى الدكتور محمود بك ماهر وكان حينئذٍ مساعداً للطبيب الشرعي أن يقوم بتنويمها فاعتذر عن عدم تمكنه من ذلك وإذ أصرت المحكمة على طلبها استدعي الدكتور محمد رشدي بك كبير أطباء المحافظة فلما حضر قام بتنويم الفتاة بعد جهد استغرق منه ربع ساعة.

وأعلن الطبيب لهيئة المحكمة أنه أتم تنويمها فطلبت منه هيئة المحكمة التأكد من نومها فأخذ يخزها بالدبابيس بقوة في أجزاء من جسمها حتى سال منها الدم ومغالاة في التأكد من نومها وخزها بالدبابيس تحت أظافرها وهي ساكنة لا تتحرك كما لمس بأصابعه حدقة عينيها فلم يختلج لها طرف وقام الطبيب بوضع غطاء على عينيها وطلب من هيئة المحكمة فحص حالتها بأنفسهم، وكان المرحوم محمد بك أبو شادي قد حضر محامياً عن الطبيب المتهم

فقال وقد أخفى يديه تحت روب المحاماة: إنني لن أصدق ما حدث إلا إذا استطاعت أن تخبرني بما في يديّ هاتين، فقال له الطبيب: فأخرج يديك من تحت الروب حتى إذا نبأت الفتاة بما فيهما وجاء قولها صحيحاً لم يبق مجال للشك، والتفت إلى الفتاة وأمرها أن تنظر ببصيرتها إلى ما في يديه فقالت إن يده اليمنى خالية وفي يده اليسرى خاتم من الذهب له فص أحمر وفتح الرُجل يديه فإذا الأمر كما قالت تماماً، وسرت في الحاضرين دهشة شديدة وهنا قال محامي المتهم الآن صدقت.

ولكن الطبيب تأكيداً لنومها أخرج ساعته من جيبه ووضعها على جبينها وهي معصوبة العينين وأمرها أن تقرأ الساعة بجبينها ووضعها على جبينه فقرأتها وعرضها على هيئة المحكمة لتتأكد من صحتها ثم أعطى الساعة لرئيس المحكمة وقال له يمكنك تقديم الساعة وتأخيرها كما تشاء ففعل ثم أعطاها للطبيب فوضعها على معدتها وقال لها كم الساعة فأجابته إجابة دقيقة واستمر في اختبارها حتى تيقن الجميع أنها نائمة وقادرة على الرؤية بكل أجزاء جسمها كما بعينيها.

وطلبت هيئة المحكمة منها أن تروي ما حدث فروت الحادثة كما روتها في يقظتها تماماً ولم تختلف في روايتها وهي نائمة إلا في شيء واحد وهو اسم الطبيب المتهم بالاعتداء عليها فقد أطلقت عليه اسم امرأة فلما استوضحت المحكمة الطبيب المنوم في ذلك قال: يبدو أن الطبيب عندما نوّمها أوهمها أنه امرأة فلم تعرفه إلا بهذا

الاسم[1].

التنبؤ بوجود الماء تحت الأرض:

كثير من الحيوانات تكشف عن حساسية غير عادية للماء، من ذلك أن الفيل يتميز بحساسية خاصة تجعله قادراً على تحديد وجوده تحت الأرض ففي زمن الجفاف تبحث الفيلة عن الماء القريب من سطح الأرض بخراطيمها ثم تستخرجه بدك الأرض بأقدامها الثقيلة.

وقد عرف الإنسان هذه الظاهرة منذ القدم ففي بعض اللوحات الفرعونية التي يزيد عمرها عن خمسة آلاف عام يظهر بعض الأشخاص وقد وضعوا على رأسهم غطاءً غريباً يحملون عصا على شكل الشوكة بطول ذراع الإنسان، كما كان أحد تماثيل الأمبراطور الصيني كوانج شو الذي يرجع تاريخه إلى عام ٢٢٠٠ ق. م. يظهر فيه حاملاً عصا تشبه الشوكة.

والطريقة التقليدية في البحث عن الماء تحت الأرض تعتمد على غصن من أغصان الشجر على شكل حرف واي (Y) بحيث يحمل الإنسان هذا الغصن أمام جسمه موازياً لسطح الأرض وفي هذا الوضع تكون عضلات الذراع خاضعة لبعض التوتر وعندما يصل الشخص الذي يتمتع بهذه القدرة إلى منطقة تقترب فيها المياه من سطح الأرض يزداد التوتر في العضلات فيميل الغصن نحو الأرض.

وهناك تنوع في أساليب الكشف عن الماء فالبعض يستخدم فرع

---

(١) أخبار الحوادث ـ ٢١/ ٥/ ١٩٩٢ ص ١٥ نقلاً عن مجلة الفصول اكتوبر ١٩٤٤.

شجرة والبعض الآخر يستخدم ساقاً معدنية أو عظمة فك حوت أو مجرد سلك من النحاس أو عصا عادية أو مقص من مقصات الجراحة وباختلاف الأداة يختلف شكل الحركة وتفسيرها.

شركات وجيوش وحكومات:

تستخدم أغلب شركات أنابيب المياه الكبرى في الولايات المتحدة واحداً من هؤلاء الموهوبين ضمن موظفيها كما تستخدم وزارة الزراعة الكندية واحداً منهم بصفة دائمة، كما عينت منظمة اليونيسكو هولندياً يتمتع بهذه الموهبة لمساعدتها في أبحاثها، وعمدت البحرية الأميركية إلى تدريب عدد من المهندسين التابعين لها في الوحدات التي شاركت في حرب فيتنام على استخدام عصا التنبؤ للكشف عن الألغام الغارقة في الماء، وكذلك الجيش التشيكوسلوفاكي يحتفظ بوحدة دائمة من هؤلاء ضمن قواته.

وقد بدأت الأبحاث الجادة حول ظاهرة التعرف على المياه الجارية تحت الأرض في فرنسا عام ١٩١٠ على يد الفيكونت هنري دي فرانس الذي يرجع إليه الفضل في تأسيس الجمعية البريطانية لأصحاب هذه الموهبة. عام ١٩٣٣ حظيت الأبحاث حول هذه الظاهرة بمساندة الدولة في الاتحاد السوفياتي [سابقاً] ولذا فإن أهم الحقائق العلمية حول هذا الموضوع تمت على أيدي العلماء السوفيت.

وقد بدأت الأبحاث السوفيتية عندما خصصت إحدى البعثات

الرسمية عدداً من الأشخاص الذين يتمتعون بهذه الموهبة من العاملين في الجيش السوفياتي لمعاونة مجموعة من العلماء المرموقين في مجالي الجيولوجيا والهيدروليكا وبعد آلاف التجارب قالت تقارير البعثة:

«إن العصا التي على شكل شوكة قد استجابت ليس فقط لمصادر الماء تحت الأرض ولكن أيضاً للكابلات والأسلاك الكهربائية المدفونة، وذلك بصرف النظر عن مدى سرعة تحرك حامل العصا، كما أنه عند تغطيته بدروع من رقائق الحديد أو الرصاص فإن قدرته لا تتأثر، والعصا تفقد قدرتها بعد يومين أو ثلاثة كما تفقد قدرتها إذا كُسرت وتم إصلاحها، وفي بعض التجارب تمكن الموهوبون من الكشف عن وجود معادن كالرصاص والذهب على عمق ٢٤٠ قدم.

وموهبة هؤلاء الأشخاص يمكن الاعتماد عليها بنجاح لتحديد مواقع الكابلات الكهربائية تحت الأرض وكذلك أنابيب المياه بل وتحديد أماكن الخلل في شبكات الأسلاك الكهربائية».

وفي عام ١٩٦٦ نظم نيكولاي سوتشيفانوف عالم التعدين بجامعة لينينجراد بعثة علمية إلى قيرغيزيا باستخدام طائرة معدة لعمليات المسح الأرضي ووقف داخل الطائرة مع مجموعة من الموهوبين يحملون عصي الكشف وقد اتضح من تجاربه أن سبب الإحساس بوجود الماء حدوث احتكاك بينه وبين التربة يولد مجالاً مغناطيسياً واستطاع بعض الموهوبين تحديد مواقع عروق من

الرصاص لا يزيد سمكها عن ٣ بوصات على عمق ٥٠٠ قدم.

وأجرى سوتشيفانوف تجارب على التنبؤ بالعصي داخل سيارات متحركة ولم تنخفض كفاءة العصي إلا عندما كانت السيارة تسير بسرعة كبيرة جداً كما لم تتأثر بتثبيت قطع قوية من المغناطيس على ظهور الموهوبين، غير أن كفاءة الموهوبين تلاشت عند ارتدائهم قفازات من الجلد.

وهناك حالات خاصة في الكشف عن مواطن المياه تحت الأرض تتجاوز ما ذكرناه ففي عام ١٩٦٣ ذاعت شهرة صبي عمره ١٢ سنة في جنوب إفريقيا واسمه جارسفيلد وكان سر شهرته أنه يرى بالأشعة السينية وكان في إمكانه تحديد موضع الماء تحت الأرض دون أي أجهزة أو أدوات.

لقد قال إنه يرى الماء يلتمع كضوء القمر من خلال سطح الأرض، كما أبدى دهشة كبيرة عندما عرف أن غيره من الناس لا يرون ما يراه[1].

تحريك الأشياء عن بعد:

القدرة على تحريك الأشياء عن بعد من أقل القدرات الخارقة شهرة إذا قيست بالتخاطر والتنبؤ مثلاً ومن الحالات الشهيرة في هذا

---

(١) عجائب العقل البشري - راجي عنايت - ص ٥٤ - ٦٦، وقد أشار إلى نفس الظاهرة جون ج تايلور في عقول المستقبل ص ٢٠٣ - ٢٠٤ واعتبرها شكلاً من أشكال الاستشفاف وما ذكره عنها يكاد يكون بلا قيمة.

المجال حالة دوجلاس هيوم الذي استطاع إقناع سير وليم كروكس بقدراته وكان يستطيع أن يسبح في الهواء خارجاً من شباك يرتفع عن الأرض سبعين قدماً وأن يسبح عائداً منه[١].

وقد أجرى البروفسور راين تجارب عديدة على هذه الظاهرة منذ الأربعينات تضمنت التحكم في رميات النرد (الزهر) ومنذ عام ١٩٦٩ أجريت تجارب على الحيوانات أدت إلى نتائج مدهشة، ففي تجربة مع مجموعة صغيرة من الكتاكيت حديثة الفقس تمكنت من التحكم في ضوء يبعث الحرارة ناتج عن مولد كهربي يعمل ويقطع عشوائياً وقد ظل يعمل لفترات أطول من فترة الانقطاع، وعندما كانت الكتاكيت تغيب عنه كان يعمل بشكل طبيعي، بل إن صندوقاً من البيض المخصب عندما وضع مع المولد أحدث نفس التأثير بينما لم يحدث ذلك عندما وضع صندوق من البيض المسلوق[٢].

وفي جامعة لينجراد أجريت تجربة على امرأة تتمتع بهذه القدرة وتدعى نيليا ميخايلوفا إذ وضعت السيدة تحت رقابة عشرات من الأجهزة التي تقيس كل شيء يمكن قياسه أثناء التجربة بدءاً من الضغط والنبض وانتهاء بأنواع الإشعاعات التي تسود المخ أثناء التجربة.

---

(١) جون ج تايلور ـ عقول المستقبل ـ ترجمة د/ لطفي فطيم ـ عالم المعرفة ص ٢٠٤، وقد كتب السير كروكس عنه في مجلة العلوم الفصلية: ـ «في ثلاث محاولات متفرقة شاهدته وهو يرتفع تماماً عن الأرض وهو شبه غيبوبة، مررت بيدي تحت قدميه وأيضاً قمت بلمس باطن حذائه فلم أجد جهازاً أو عائقاً من أي نوع».

(٢) عقول المستقبل ـ مصدر سابق ـ ص ٢٠٦.

كان على هذه السيدة أن تفصل بياض البيضة عن صفارها بمجرد النظر إليها، وضع الطبق على منضدة تبعد عنها مسافة ستة أقدام وبدأت التجربة في حضور عدد من كبار علماء جامعة لينينجراد، ركزت السيدة بصرها على الطبق اهتزت البيضة اهتزازات خفيفة في أول الأمر وأخذ كل من البياض والصفار يتحرك في اتجاه وبعد ٣٠ دقيقة نجحت السيدة نيليا في فصل البيضة عن بياضها.

وكانت هذه من أصعب التجارب العلمية التي أجريت مع اتخاذ كافة الاحتياطات العلمية لتأكيد قدرة الإنسان على التأثير في المادة عن بعد، وعلى الفور بدأت دراسة النتائج التي سجلتها الأجهزة التي وضعت لقياس كافة أشكال النشاط في جسمها أثناء التجربة وكانت كالتالي:

١ ـ نشاط ضخم في المخ أثناء التجربة.
٢ ـ نشاط غير منتظم في القلب.
٣ ـ زيادة في النبض وصلت إلى (٢٤٠) ضربة في الدقيقة أي أربعة أمثال النبض الطبيعي.
٤ ـ ارتفاع شديد في نسبة السكر في الدم.

وخلال التجربة التي استمرت نصف ساعة فقدت السيدة نيليا رطلين من وزنها وخرجت من التجربة على درجة كبيرة من الضعف العام وفقدان مؤقت للبصر وكذلك التذوق مع آلام شديدة في الأطراف وظلت غير قادرة على النوم لعدة أيام.

وحالة نيليا ميخالوفا تنطبق عليها إلى حد بعيد [فرضية كولن ويلسون] التي تربط بين ظهور قدرات خارقة عند شخص ما وبين تعرضه لانهيار في البناء الجسماني كلياً أو جزئياً فقد أصيبت هذه السيدة في نهاية الحرب العالمية وأمضت وقتاً طويلاً في المستشفى حتى شفيت وفي هذه الفترة بدأت تكتشف قدرتها الخاصة وهي تسجل ذلك بقولها: «في ذلك اليوم سادتني حالة شديدة من الغضب والقلق وكنت أسير في اتجاه الدولاب عندما وجدت الإناء الخزفي الموضوع فوق الرف يتحرك إلى حافة الرف ويسقط على الأرض متحطماً».

وكان العالم البيولوجي إدوارد فاموف الأستاذ بجامعة موسكو أول من اكتشفها فبدأ اختبار قدرتها في معمله بأن أفرغ محتويات علبة ثقاب ومدت كفيها فوق المائدة على بعد ملموس وأخذت تحرك يديها فوق المائدة والأعواد تتحرك مع حركتها في كومة واحدة حتى خرجت بيديها من إطار المائدة فسقطت الأعواد على الأرض، ووضع الدكتور فاموف لوحاً من الزجاج بين يديها وأعواد الثقاب ولكنها استطاعت تحريك الأعواد من أقصى المائدة إلى أقصاها.

وقد أجرى البروفسور جينادي سرجييف في قاعة معمل الفسيولوجي دراسات عن المجال المغناطيسي حول جسدها في تجربة فصل بياض البيضة عن صفارها والتي سبق الكلام عنها فاكتشف أنها تتمتع بمجال مغناطيسي يكاد يبلغ ١/١٠ المجال المغناطيسي للكرة الأرضية كما تنفرد بصفة خاصة حيث إن الطاقة

وفي لندن قام هاي برايس بتجارب على فتاة صغيرة استطاعت أن تركز على ذراع مثل ذراع آلة التلغراف فتضغط على قاعدة لتغلق دائرة كهربائية وتضيء مصباحاً متصلاً بها، كل هذا دون أن تمس الفتاة أي عنصر من عناصر التجربة، وقد توسع في تجربته فوضع الجهاز بأكمله تحت غطاء من الزجاج وأحاطه بسياج من الخشب، ونشر فقاعات من الصابون والجلسرين بين الجهاز والغطاء، واستطاعت الفتاة أن تجعل المصباح يضيء وينطفىء عدة مرات متتالية.

وعلقّ البروفسور ج .ب . رابين بعد خمس وعشرين عاماً من التجارب على هذه الظاهرة «إن العقل له القدرة على التأثير في المواد الطبيعية مباشرة»[1].

هل هو حظ حسن:

أجرى العالم ريتشارد تيلور حديثاً تجربة طلب فيها من مجموعة أشخاص بمعمله تخمين عدد الأوراق الحمراء والسوداء لبعض ورق اللعب، وبعد التجربة الأولى قام بفصل المجموعة التي حققت تخميناً عالياً مكرراً التجربة بين أفراد هذه المجموعة، فتصاعدت قدرتهم على التخمين بالنسبة لباقي المشاركين في التجربة، وهو ما دفع مدير مؤسسة علم النفس الصناعي بهولندا إلى القول: ««هناك مظاهر ومؤشرات تؤكد أن بعض البشر لديهم استعداد

(١) عجائب العقل البشري ـ راجي عنايت ـ ص ٧٦ ـ ٨٤.

شخصي للحظ الحسن». والمثير في الموضوع أن تيلور اختار مجموعة عشوائية من البشر وأجرى عليهم تجربة ورق اللعب، وبصرف النظر عن مدى قدرتهم على التخمين أخبرهم كذباً أنهم حققوا نتائج مدهشة وكانت النتيجة ارتفاعاً ملحوظاً في قدرتهم على التخمين في التجارب التالية، وهذا يعني أن «الحظ» حالة من حالات العقل أو على الأقل يبدو كذلك؟. وقد استغل بعض الموهوبين قدرتهم هذه في الحصول على المال، ومنهم قصة مثيرة لأوسترالي يتمتع بهذه القدرة هو جون روبرتسون الذي سافر إلى بريطانيا هارباً من الفقر والديون وهناك اكتشف قدرته وقرر استغلالها في لعب القمار، وقد استطاع خلال خمسة أشهر أن يتنقل بسيارة ليموزين فاخرة مع حاشية كبيرة إضافة إلى رصيد في البنك بلغ ٤٠ ألف جنيه استرليني، بل إن هذا الرصيد قفز في ليلتين على موائد القمار من ٤٠ ألف جنيه إلى ١٠٠ ألف جنيه، والمثير أن روبرتسون خسر كل أمواله في مراهنة خاسرة بعد أن اكتشف أحد رواد نادي قمار حقيقة قدرته، ولسوء حظ روبرتسون كان هذا الشخص يتمتع بنفس القدرة فاستخدمها دون أن يدري روبرتسون في إلغاء تأثير مخه، ليعود كما بدأ فقيراً ويموت في أحد المستشفيات الخيرية ببلجيكا[1].

سيروس المصور:

ومن الحالات الشهيرة لهذه القدرة والتي أخضعت للتجارب

---

(١) ٣٠ ظاهرة خارقة حيرت العلماء ص ٧٣ ـ ٧٧.

المعملية، حالة مواطن أمريكي يوناني الأصل يدعى سيروس، اكتشفه أستاذ العلاج النفسي بالمدرسة الطبية في دنفر د . جول ايزنباد وبعد تجارب استمرت ٣ سنوات تأكد ايزنباد أن سيروس يمتلك القدرة على تسجيل صور لمشاهد طبيعية بعيدة بمجرد النظر في عدسة الكاميرا، وذلك في ظل الاحتياطات العلمية الكاملة، وقد تم فحصه والكشف عليه طبياً بدقة وتم تصوير التجارب التي أجريت عليه سينمائياً وبدون أن يسمح له بلمس أي جهاز يدخل في التجربة بل وتكبيله في رداء لا يسمح له إلا بتحريك رأسه استطاع أن يسجل صور أفكاره على الألواح الحساسة لآلة التصوير وقد ثبت من التجارب أن المجال المغناطيسي ليس له أدنى تأثير عليه فقد تمكن من تسجيل صوره داخل مجال مغناطيسي تبلغ قوته ١٢٠٠ جاوس وهو أقوى آلاف المرات من المجال المغناطيسي للأرض، كما تمت محاولاته داخل قفص فاراداي الذي يخفض الـ جال المغناطيسي للأرض إلى ١/ ٣ قوته الطبيعية كما تم اختبار قدرته داخل حجرة جدرانها من الصلب الذي يبلغ سمكه ٥ بوصات لحجب الإشعاعات ووضعت على بعد ١٨ بوصة منه أجهزة قادرة على تسجيل أقل إشعاع كهرومغناطيسي فلم تسجل أي تغيرات أثناء التجربة .

واستطاع سيروس أن يصور أفكاره بنجاح عندما وضع لوح من الزجاج المسقى بالرصاص سمكه ١/ ٢ بوصة بينه وبين آلة التصوير الأمر الذي يؤكد عدم نفاذ أشعة إكس، كما مارس بنجاح عندما وضعت بينه وبين آلة التصوير ألواح من الخشب أو البلاستيك مما

يستبعد احتمال استخدام الأشعة تحت الحمراء أو فوق البنفسجية.

وتسجيل التجارب التي قام بها سيروس يؤكد أنه كان أثناء التجربة، يمارس «تركيزاً مكثفاً بعينين مفتوحتين وشفتين مضغوطتين مع توتر ملموس في نظامه العضلي أما وجهه فيبدو مخضباً مبقعاً وقد نفرت عروق جبهته كما كانت دقات قلبه تتصاعد في سرعتها مع مراحل التجربة»(١).

شهادة عالم مسلم:

بقي في رحلتنا هذه في معامل الأبحاث محطة واحدة لها أهميتها الخاصة نطلع فيها على شهادة واحد من أعظم العلماء المسلمين في تاريخنا الحديث هو العالم الباكستاني محمد عبد السلام المعروف باسم بروفسور سلام الذي يصفه الدكتور عدنان الحموي(٢) بأنه «من أكبر علماء المسلمين خلال القرون الستة الماضية وأحد أكبر علماء الفيزياء المعاصرين» ويصفه الدكتور ممدوح كامل الموصلي(٣) بقوله: «يحظى سلام بتقدير علمي ودولي نتيجة لإنتاجه في مجال الفيزياء النظرية وقد منح أكثر من خمس وعشرين دكتوراه فخرية وثماني عشرة جائزة وميدالية في مجال الفيزياء أهمها جائزة الذرة من أجل السلام [١٩٦٨] وجائزة نوبل للفيزياء [١٩٧٩] وجائزة

---

(١) عجائب العقل البشري - راجي عنايت ص ١٠٦ ـ ١١٠.

(٢) رئيس جمعية الأصدقاء العرب للمركز الدولي للفيزياء النظرية بتريستا بإيطالية وهو المركز الذي أنشأه البروفسور سلام في عام ١٩٦٤.

(٣) أستاذ بكلية العلوم جامعة عين شمس.

لومونوسوف الذهبية من أكاديمية العلوم السوفياتية [١٩٨٣] وكذلك أربعة أوسمة رفيعة من مختلف دول العالم، كما اختير عضواً في ثلاث وعشرين أكاديمية علمية بما في ذلك أكاديميتي العلوم في الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، كما تقلد عدداً من المناصب الرفيعة في الأمم المتحدة وفي باكستان.

يقول البروفسور سلام في كتابه «المسلمون والعلم» نقلاً عن عالم فيزيائي غربي: القصة التالية عن فينمان أحد الفيزيائيين العظماء في عصرنا إن لم يكن أعظم الفيزيائيين الأحياء على الإطلاق، كان في غرفة تعزل عنه الإحساس بكافة المؤثرات في تجربة للخروج من الجسد وشعر أنه خرج من جسده وشاهد الجسد ملقى أمامه.

ولكي يختبر مدى حقيقة هذه التجربة، حاول أن يحرك ذراعه وهنا شاهد بالفعل ذراع الجسد الملقى أمامه يتحرك، وبعد أن وصف ذلك قال: إنه أصبح قلقاً لاحتمال أنه خارج جسده، فقرر أن يعود إليه.

وبعد أن انتهى من رواية قصته سألته عما خرج به من تجربته الغريبة، وهنا رد فينمان بإجابة تتسم بدقة الملاحظة لعالم حقيقي «إنني لم أشاهد أي انتهاك لقوانين الفيزياء».

ويعقب البروفسور سلام على ذلك بقوله:

بالنسبة لي شخصياً فإن إيماني يستند على الرسالة الروحية الأزلية للإسلام في أمور سكتت عنها الفيزياء وستظل ساكتة، وهذا

الإيمان قد تحدد بنص أول آيات القرآن الكريم بعد الفاتحة:

﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾[1]، ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾[2]، والذي لا يُرى... ﴿والذي لا يدركه البشر﴾، والذي لا يمكن معرفته... هو ما تعبر عنه الكلمات العربية الأصيلة: ﴿يؤمنون بالغيب﴾[3].

---

(1) سورة البقر آية ١.

(2) سورة البقرة آية ١٣.

(3) المسلمون والعلم ـ للعالم الباكستاني د. محمد عبد السلام ـ ترجمة د/ ممدوح كامل الموصلي دار الغد للنشر والدعاية والإعلان ـ ١٩٨٦ ـ ط ١ ـ ص ١١ ـ ١٧، ص ٤٤ ـ ٤٥.

ثبت أهم المصادر

خاتمة

ـ ١ ـ

منذ سبعة قرون كتب الإمام ابن القيم كتابه [زاد المعاد في هدي خير العباد] وقد تناول فيه كل أحوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ على قدر تيسير الله له ـ ومن بين أبواب الكتاب الهامة والتي ينبغي إدراجها في سياق هذا البحث، ما كتبه تحت عنوان [فصل في فقه هذا الباب ـ باب هديه في الأسماء والكنى ـ] يقول:

لما كانت الأسماء قوالب للمعاني ودالة عليها اقتضت الحكمة أن يكون بينهما ارتباط وتناسب، وأن لا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلُّق له بها، فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك، والواقع يشهد بخلافه، بل للأسماء تأثير في المسميات، وللمسميات تأثر عن أسمائها في الحسن والقبح، والخفة والثقل واللطافة والكثافة، كما قيل:

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب   إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

يروى عن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير أسماء أشخاص وأماكن أحصي منها ست عشرة حالة، منها حالة «حزن» جد سعيد بن المسيب الذي غير الرسول اسمه إلى سهل فأبى،

وقال «السهل يوطأ ويمتهن»[1]، ولعل هذه الحالة بالذات آثرت التعرض لها لأن صاحبها اتخذ موقفاً فريداً أو ربما لم يتكرر وهو رفض تغيير اسمه وتبريره ذلك بدلالة الاسم الجديد على الامتهان ـ كما يرى هو ـ وقد لفت هذا الموقف نظر ابن القيم نفسه فعاد للتعليق عليه بعد بقوله: «وما أجدر هذه الأسماء بتأثيرها في مسمياتها كما أثر اسم «حزن» الحزونة في سعيد بن المسيب وأهل بيته»[2].

فهل يكتسب المرء فعلاً شيئاً من صفات اسمه؟ أم أنها مجرد رموز نطلقها على الأشخاص لمجرد التمييز؟ وهل تتغير الصفات، أو الصفة المشتقة من الاسم ـ إذا تغير؟.

إنها مجرد تساؤلات تثيرها نصوص لإمام من أئمة الفقه الإسلامي عبرت حاجز القرون السبعة لتطرح نفسها أمام القارىء وخلفها مواقف سجلتها كتب التاريخ والحديث لتجعل التجاهل المحتمل للفكرة المطروحة من خلالها نوعاً من التجني، ولتضع كل قارىء أمام سؤالين بسيطين:

أولاً: ماذا تعرف عن معنى اسمك؟

ثانياً: ما يصيبك من الصفة التي تَحملها؟

---

(1) زاد المعاد ـ ابن القيم ـ تحقيق عبد القادر وشعيب الأرناؤوط، ص ٣٣٥ جـ ٢، والحديث رواه البخاري ١٠/ ٤٧٣ وكذلك في الأدب المفرد ٤٧٤ [هامش نفس المصدر].

(2) السابق ص ٣٤١ جـ ٢.

ويبقى «المعبر» الذي تحدث عنه مجالاً من مجالات التنبؤ بشخصيات الأفراد من خلال أسمائهم، وشكلاً من أشكال المعارف تنفرد به ثقافتنا الإسلامية وتدعمه شواهد التاريخ.

ـ ٢ ـ

من بين أسفار التوراة ينفرد سفر دانيال بطبيعة خاصة ربما نبعت من تفرد شخصية دانيال ذاته، ويؤرخ هذا السفر لحكم نبوخذ نصر ملك بابل الذي استولى على مملكة يهوذا وهدم الهيكل الثاني وساق بني إسرائيل إلى السبي، وحسب السفر أمر الملك باختيار أربعة من اليهود يتميزون بالفهم والعلم وحسن الهيئة يربون في قصره ثلاث سنوات ثم يعملون بعد ذلك بخدمته.

وكان من بين الأربعة دانيال الذي عزف عن طعام القصر وطلب أن يقدم لهم طعام يسمى [القطاني] فقط بدلاً من الطعام الفاخر والخمر اللذين كانا يقدمان من مطعم القصر، فأصبح دانيال «فهيماً بكل الرؤى والأحلام»[1]

وفي السنة الثانية من وجودهم في القصر حَلَمَ نبوخذ نصر أحلاماً فانزعجت روحه وطار عنه نومه، فأمر بأن يستدعى المجوس والسحرة والعرافون والكلدانيون، وجاؤوا فقال لهم الملك قد حلمت حلماً وانزعجت روحي لمعرفة الحلم، فقالوا: أخبر عبيدك؟ بالحلم فنبين تعبيره، فقال: قد خرج مني القول إن لم تنبئوني بالحلم وبتعبيره

---

(١) دانيال إصحاح ١ ـ آية ١٧.

تصيرون إرباً إرباً وإن بينتم الحلم تنالون من قبلي هدايا وحلاوين، وذهب رئيس الشرط لأخذ دانيال ورفاقه لقتلهم مع باقي حكماء بابل فطلب وقتاً ليبين للملك تعبير الحلم وكشف له السر في رؤيا الليل فوقف أمام الملك وقال له:

قد عرف الملك نبوخذ نصر ما يكون في الأيام الأخيرة، أنت يا أيها الملك أفكارك صعدت إلى ما يكون بعد هذا وكاشف الأسرار يعرفك بما يكون.

ويروي السفر بعد ذلك الرؤيا وتعبيرها، وفي الإصحاح الرابع رؤيا أخرى رآها نبوخذ نصر وفسرها دانيال وكانت تنبىء بانهيار ملك نبوخذ نصر، ثم يروي السفر قصة حلمين رآهما دانيال نفسه، وهو مصدر مهم لفهم حقيقة موقف الأديان الأخرى من فكرة التنبؤ التي لا يخلو منها تراث أمة على اختلاف التفاصيل[1].

ـ ٣ ـ

تقول الكاتبة نورما لي برونج التي كتبت عن حياة بيتر هوركس كتاباً: «للأسف يسود أغلب العلماء شعور بالشك والريبة إزاء كل الظواهر العقلية الخارقة، مما يعوقهم عن القيام بدراسات علمية، وبحوث متخصصة، حول النشاط العصبي، الفيسيولوجي والأنماط

---

(١) سفر دانيال ـ العهد القديم ـ دار الكتاب المقدس ـ مطبعة عنتر ١٩٦٩. ص ١٢٦٠ ـ ١٢٨٦.

الخاصة بموجات المخ لدى هؤلاء الذين يتمتعون بقدرات عقلية خارقة.

والعلم المعروف باسم «باراسيكولوجي» والذي تدخل في إطاره كل القدرات الخارقة للعقل البشري مثل التخاطر والاستشفاف والقدرة على الرؤية عبر الزمان والمكان وقدرة العقل على التأثير في المادة والخروج من الزمن بالإبحار في الماضي أو المستقبل... هذا العلم اكتسبت أغلب فروعه اعترافاً علمياً على يد العديد من العلماء الفلاسفة بحيث لم تعد القضية الآن إثبات صدق هذه الظواهر، بل البحث فيما يجعلها تظهر وتقوى عند الشخص العادي.

مع هذا فما زال الكثير جداً من العلماء الطبيعيين حتى يومنا هذا يرفضون الاعتراف بالبحوث المعملية التي تجري حول الظواهر الفائقة للعقل البشري، ولعل بعض أسباب هذا الموقف يرجع إلى أن هذه الظواهر قد اختلطت على مدى التاريخ بجهود الكثير من الأفاقين والنصابين والمخادعين، مما جعل التمييز بين الظاهرة الحقيقية والمناورة الكاذبة أمراً شاقاً.

لهذا وخوفاً من الخوض في هذه المناطق الموحلة يسارع معظم العلماء إلى رفض الأمر كله بل وإدانته، رغم أن هذه الإدانة تكون غير موضوعية وتناقض التفكير العلمي السليم، ولعل هذا هو السر في بطء التقدم الذي تحرزه الدراسات المعملية في مجال الباراسيكولوجي وصعوبة الوصول إلى تفسير علمي لظواهر العقل

الخارقة[1].

ونعود إلى الكاتبة لي برونج إذ تقول:

«المخ في حقيقته من أكبر ألغاز البشرية، لم تتحقق الكثير من المعارف عنه حتى ما قبل الحرب العالمية الثانية، ولم نصل إلى الشطر الأكبر من معارفنا الحالية إلا خلال السنوات العشر أو العشرين الماضية، ولعل قلة معارفنا عن المخ البشري هي السبب فيما نجد أنفسنا فيه من حيرة عندما نسأل أنفسنا لماذا وكيف تحدث الظواهر الخارقة.

وفي عصر طفل الأنابيب وزرع القلب والهبوط على القمر يبدو غير مفهوم أن يبقى العلم حتى الآن متخذاً موقف التجاهل إزاء الظواهر العقلية الخارقة، الثابت حتى الآن أن العقل البشري يصبح قادراً في بعض الأحيان على تخطي حواجز الزمان والمكان... هذه حقيقة ثابتة لا تقبل المناقشة. لكن المطروح هو لماذا؟ وكيف؟... لقد هزم البشر قمة أفرست لأنها موجودة، وبنفس الدواعي انتصر الإنسان على القمر، وإذا كان العلماء قد قالوا إن اكتشاف القمر والهبوط عليه سيزيد فهم الإنسان لنفسه، فما موقفهم من ضرورة اكتشاف الإنسان لعقله هو؟[2].

(١) رجل يعرف كل الأسرار ـ راجي عنايت ـ ص ١٥١ ـ ١٥٣.
(٢) السابق ص ١٥٤ ـ ١٥٧.

ـ ٤ ـ

وبعد. . . فقد وصلت رحلتنا إلى نهايتها بعد أن طوفت في أنحاء الزمان والمكان من الهند والصين واليابان إلى مصر الفرعونية واليونان وإيطالية القديمة، قرأنا فيها لهيرودوت وويل ديورنت وابن خلدون وغيرهم من علماء ومؤرخي وفلاسفة العالم، وتتبعناها في البرديات واللوحات الفرعونية، وجمعنا خلاصة التجارب منذ دخل الدكتور راين المعمل وإلى أن قدم البروفسور سلام شهادته العلمية وبقي سؤال واحد:

هل يوجد لدينا مثال واحد استطاع صاحبه أن يفرّ من قدرة الذي منح القدرة على التنبؤ به؟ إنها رحلة تكاد الأسئلة فيها تزيد عن الأجوبة، ولكنها ـ حسب ظني ـ رحلة مثيرة، وممتعة.

مراجع الكتاب

١ ـ حكمة الصين ـ محمد فؤاد شبل ـ دار المعارف ـ مصر .

٢ ـ قصة الحضارة ـ ويل ديورنت ـ ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين لجنة التأليف والترجمة ـ جامعة الدول العربية .

٣ ـ أساطير الأولين ـ ميخائيل جبرائيل ـ مطبعة المرسلين اليسوعيين ـ بيروت ـ ١٨٩٤ .

٤ ـ تاريخ هيرودوت ـ ترجمة عن الفرنسية حبيب بسترس مطبعة القديس جاورجيوس ـ بيروت ـ ١٨٨٦ .

٥ ـ مصر القديمة ـ سليم حسن ـ دار الكتب المصرية .

٦ ـ موسوعة تاريخ مصر ـ أحمد حسين ـ دار الشعب ـ مصر .

٧ ـ تاريخ التمدن الإسلامي ـ جورجي زيدان ـ دار الهلال ـ مصر .

٨ ـ المقدمة ـ ابن خلدون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٩ ـ الكامل ـ ابن الأثير ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

١٠ ـ البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ دار الفكر العربي ـ مصر .

١١ ـ مروج الذهب ـ المسعودي ـ دار المعرفة ـ بيروت .

١٢ ـ نفح الطيب ـ المقري ـ دار المأمون ـ مصر .

١٣ ـ ملوك الطوائف ـ دوزي ـ ترجمة كامل كيلاني/ نشر عيسى البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٩٣٣ .

١٤ ـ الترغيب والترهيب ـ المنذري ـ دار الحديث ـ مصر .

١٥ ـ فتح الباري ـ ابن حجر العسقلاني تحقيق/ محب الدين الخطيب ـ فؤاد عبد الباقي ـ الدار السلفية ـ مصر .

١٦ ـ تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير طبعة عيسى البابي الحلبي ـ مصر .

١٧ ـ السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ المكتبة التوفيقية ـ مصر .

١٨ ـ مفتاح دار السعادة ـ طاش كبرى زاده ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٨٥ .

١٩ ـ تفسير الألوسي ـ طبعة بولاق ـ مصر .

٢٠ ـ نهاية الأرب في فنون العرب ـ شهاب الدين النويري ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٣٠ .

٢١ ـ نبوءات نوستراداموس ـ د/ دوفونيرون ـ ترجمة أسامة الحاج ـ دار التوجيه اللبناني .

٢٢ ـ فكرة الزمان عبر التاريخ ـ مجموعة مؤلفين بإشراف جون جرانت وكولن ويلسن ترجمة فؤاد كامل ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ١٩٩٢ ، عدد ١٥٩ .

٢٣ ـ عقول المستقبل ـ جون ج تايلور ـ ترجمة د/ لطفي فطيم ـ

سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ـ ١٩٨٥ عدد ٩٢ .
٢٤ ـ الإدراك الحسي عند ابن سينا ـ د/ عثمان نجاتي دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٤٦ .
٢٥ ـ الله ـ العقاد ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط ٣ .
٢٦ ـ الروح والخلود بين العلم والفلسفة ـ عبد العزيز جادو دار المعارف ـ مصر ـ سلسلة اقرأ ـ رقم ٣٢٦ .
٢٧ ـ حقيقة الإنسان ـ د/ عيسى عبده، أحمد اسماعيل يحيى، دار المعارف ـ مصر ـ ط ٢ ـ ١٩٨٨ .
٢٨ ـ زاد المعاد ـ ابن القيم ـ تحقيق عبد القادر وشعيب الأرناؤوط دار المنار ـ دار الرسالة بيروت .
٢٩ ـ الرؤى والأحلام ـ أحمد عز الدين البيانوني دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ـ مصر ـ ١٩٨٥ ـ ط ٢ .
٣٠ ـ التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام د/ توفيق الطويل دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ـ ١٩٤٥ .
٣١ ـ العلم وتفسير الأحلام ـ د/ عبد الرحمن نور الدين ـ دار الهلال ـ مصر ـ ١٩٩٠ .
٣٢ ـ الكتاب المقدس ـ جمعية الكتاب المقدس ـ مصر ـ ١٩٦٩ .
٣٣ ـ المسلمون والعلم ـ للعالم الباكستاني محمد عبد السلام ـ ترجمة د/ ممدوح كامل الموصلي دار الغد للنشر والدعاية

والإعلان ـ مصر ـ ١٩٨٦ .

٣٤ـ من سلسلة أغرب من الخيال ـ تأليف راجي عنايت .

ـ عجائب العقل البشري .

ـ ظاهرة خارقة حيرت العلماء .

ـ رجل يعرف كل الأسرار .

ـ تفسير الأحلام والتنجيم .

ثانياً: دوريات:

١ ـ مجلة المعارج ـ بيروت عدد سبتمبر ١٩٩١ .

٢ ـ مجلة العربي الكويت عدد سبتمبر ١٩٨٨ .

٣ ـ جريدة أخبار الحوادث ـ مصر ـ عدد ٢١/ ٥/ ١٩٩٢ .

الفهرس